الأرواح المتشابهة

الأرواح المتشابهة

مجموعة قصصية

مريم حنا

اسم الكتاب: الأرواح المتشابهة
اسم الكاتبة: مريم حنا
تدقيق لغوي: عبدالكريم عبدالحميد
تصميم الغلاف: محمد إبراهيم
الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم
الطبعة / الأولـى – ديسمبر ٢٠١٩ م
رقم الإيداع: 2019 / 25444

١١٤ ع جنوب الأحياء – السادس من أكتوبر
Arabiclibrary2017@gmail.com
Facebook.com/arabiclibrary2017

ت / ٠١٠٣٠٣٦٥٨٠١

جميع الحقوق محفوظة للمكتبة العربية للنشر والتوزيع، ولا يجوز استخدام أي من المواد التي يتضمنها هذا الكتاب، أو استنساخها أو نقلها، كليا أو جزئيا، في أي شكل وبأي وسيلة، سواء بطريقة إلكترونية أو آلية، بما في ذلك الاستنساخ الفوتوغرافي، أو التسجيل أو استخدام أي نظام من نظم تخزين المعلومات واسترجاعها، دون الحصول على إذن خطي من الناشر.

إرادة

سأظل أحملُ حقيبة أحلامي معي أينما ذهبتُ، سأعلقها على كتفي الأيسر وقلمي بيدي اليمنى، أخرج حبات آمالي من حقيبتي وأنثرها على الأرض، لا يهم أي نوع أرضٍ هي لأنها حتى ولو كانت صخرية وغير صالحة للإنبات فيقيني أن نبتتي ستنبثق من بين الصخور يوماً ، أما فقلمي أستخدمه لغرضين؛ أولهما: أرسم به مستقبلي المرجو في الدنيا، وثانيهما أكتب به كلماتي التي ستبقى تخلد ذكراي بعد موتي، فلقد عاهدتُ نفسي أن يكون لي دورٌ لا يستهان به في الحياة، لن أخرج من الدنيا كما أتيتُ إليها صفر اليدين، بل سأخرج منها وأنا محملة بثمار بذوري التي نثرتها طيلة الرحلة، أعلم أني جئتُ إلى الدنيا لكي أملأ فراغاً لا يمكن لأحد غيري ملؤه .

الأرواح المتشابهة

جلست على حافة سريرها بغرفتها في بيت أبيها والتي عاشت فيها أجمل سنوات عمرها؛ عاشت فيها طفولتها، ومراهقتها، وبداية شبابها، وها هي تعود إليها بعد ما يقرب من خمس سنوات مرت عليها كأنها خمسة آلاف عام .

أمسكت بمرآتها الصغيرة المستديرة وأخذت تتأمل ملامح وجهها البيضاوي الذي أخذ من طمي النيل لونه، وأخذ من مياهه لمعانه وصفاءه، ومن مجراه حيويته وتدفقه.

شهية النظر هي كلوحة فنية رُسمت بعناية فائقة، عيناها تشبهان في لونهما لون عسل ملكات النحل الذي لا غِشَ فيه، عينان بعمق آبار العيون الجوفية في صحراء الواحات الغربية، فتكون رياً للظمآن في يوم مكتظ بالحرارة، شفتاها المكتنزتان كقطعتي قطائف محشوتين بأشهى أطعمة التمر وأجود أنواعه، قطفت ثمارها من نخيل أنفها الشامخ الشاهق العلو.

تعتز بشخصيتها كاعتزاز أبو الهول بين إهرامات الجيزة بثباته وصلابته وصموده آلاف السنين أمام متغيرات الطبيعة وعوامل المناخ دون أدنى تأثر منه.

عُرفت بين أترابها بذاك اللقب المحبب لقلبها "نفرتيتي" نظراً للتشابه الكبير بينها وبين الملكة "نفرتيتي" ملكة كيمت أو مصر القديمة .

عشقت تاريخ بلادها وخاصةً التاريخ الفرعوني، ما جعلها تتخصص في دراسته وتتفوق فيه، تخرجت في كلية الآداب قسم التاريخ، وكان ترتيبها الأول على دفعتها ما أدى إلى تعيينها معيدة في نفس الكلية التي درست فيها بجامعة المنيا.

تعلق قلب أستاذها الجامعي بها، لفت انتباهه جديتها التي لا تخلو من بعض اللهو والشقاوة، وتفوقها الدراسي وثقافتها، وقوة شخصيتها المحلاه بابتسامة ساحرة لا تفارق وجنتيها .

في نهاية السنة الرابعة وقبل تخرجها ببضعة أشهر قليلة صارحها بحبه لها، وهي لم تنكر أنها معجبةٌ به؛ فهو وسيم، جذاب، مشهود له ولعائلته بالأصالة والسمعة الطيبة، اتفقا على الارتباط بعد تخرجها من الجامعة، وبالفعل انتظرا حتى حصلت على ليسانس الآداب وقبل تعيينها معيدة بالجامعة تمت خطبتهما بمباركة الأهل، فلم يكن لوالدها أن يرضى لها بأقل

من زيجة كهذه، حيث أنها ابنته الوحيدة التي رزقه الله بها بعد أكثر من خمسة أعوام من الانتظار، لذا كانت تتمتع بكل صنوف التدليل والاهتمام من والديها، وبالرغم من ذلك كانت فتاة يُعتمد عليها شأنها في ذلك شأن كل فتيات الصعيد الجادات المتحملات المسئولية، والتي علمها إياها أبوها كما علمها حب التاريخ منذ نعومة أظفارها .

تم الزواج بعد عام من الخطبة، وكان يوم زفافها على حبيبها هو أسعد أيام حياتها، نعم حبيبها؛ فلقد أحبته حباً جماً في فترة خطبتهما ولمَ لا؟! وهو الذي أحبها أولاً، وحبه واهتمامه الشديدين بها جعلها لا ترى في الدنيا غيره.

مرت سنوات زواجهما الثلاث الأولى سعيدة، هادئة، مستقرة، رزقا خلالها بابنتين جميلتين كانتا محور اهتمامهما ، غير أن زوجها تمنى لو أنه رزق بصبي يحمل اسمه ويخلد ذكراه من بعده، ظلت تلك الرغبة تراوده إلا أنه كان كثيراً ما يكتم رغبته تلك خوفاً على مشاعر زوجته التي لا ذنب لها في إنجاب البنات إلا أنها كانت تشعر بقلب الأنثى رغبة زوجها الدفينة، وحملت للمرة الثالثة، وهنا لم يكن باستطاعته إخفاء رغبته القديمة في إنجاب ذكر، وكان يدعو الله نهاراً جهاراً بتحقيق رغبته هذه المرة، وكان يقول لزوجته أنه يشعر بأن الله سيرزقه هذه المرة بالصبي الذي لطالما تمناه .

كانت كلما سمعته يصرِّح برغبته غاص قلبها في تجاويف صدرها خشيةً خذلانه هذه المرة أيضاً . وكانت تدعو بينها وبين ربها أن يرزقهما الله بالولد ولي العهد المنتظر حتى لا تشعر بالخزي أمامه، ففي الصعيد لازالت بعض العقول برغم ثقافتها تنظر لإنجاب الذكور بأنها الحُظوة والأكثر تميزاً بين الأقران .

أخبرها طبيبها أن الجنين بنتاً ثالثة، فكانت صدمتها كبيرة واضطرب قلبها وأخذت تفكر كيف ستخبر زوجها بالخبر ولا تدري ماذا سيكون وقع الخبر عليه .!

عندما علم بالخبر حدث ما كانت تخشاه، فقد تغيرت ملامحه وتغيرت معاملته لها، فبدأ يعاملها بقسوة شديدة وتجاهل وإهمال مميت، وكأنه بذلك يعاقبها على أنها لم تستطع أن تنجب له ولداً، حتى إنه يوم ولادتها لم يكن برفقتها في عيادة طبيب التوليد كالمرتين السابقتين، بل ظل يتسكع في شوارع المدينة حتى هاتفوه وأبلغوه بولادة زوجته، وأنها الآن في بيته مع مولدتهما الثالثة وابنتيهما الأولتين .

عاد إلى بيته في نهاية اليوم ولم ينبس ببنت شفة، حتى أنه لم يحاول أن يرى مولودته واكتفى فقط بأن قال لزوجته دونما اهتمام "حمدالله على سلامتك" .

حزنت زوجته لتماديه في معاملته السيئة لها فعاتبته مذكرةً إياه بأن لا ذنب لها في إنجاب البنات وإنها إرادة الله وحده ، وأنه يجب عليه الحمد والشكر لله بدلاً من التذمر والاعتراض على مشيئته، فكان رده صادماً ولم تكن تتوقعه ، أخبرها بكل هدوء أنه سيتزوج عليها وأنه سينجب الولد من زوجته الثانية .!

لجمت الصدمة لسانها ولم تدرِ وإلا والدموع الحارة تنسال على خديها غير مصدقة ما سمعته، وتمنت في تلك اللحظة لو أنها كانت في حلم أو حتي كابوس، وتمنت أكثر لو أنها ماتت قبل أن تسمع زوجها وتراه يقذف بكلماته القاتلة في وجهها ويحطم شغاف قلبها .

غضبت واصطحبت بناتها الثلاث وذهبت إلى بيت أبيها مقررةً الطلاق لأنها لا يمكنها أن تستمر معه في وجود زوجةً أخرى ، حاول الأهل التدخل والصلح بينهما بأن يجعلوه يعدل عن قراره بالزواج بأخرى أو بأن يقنعوها هي بالعدول عن قرار الطلاق لكن دون جدوى، فكلٌ منهما لم يتنازل عن قراره .

حدث الطلاق، وبالرغم من أنها هي من طلبته وأصرت عليه إلا أن قلبها تحطم فور حدوثه، فالطلاق بالنسبة لأي امرأة يعني الكثير، يعني الفشل، والنهاية، والخذلان، والعار.

مرت الأيام والشهور التي تلت الطلاق ثقيلة، والذكريات عنيدة لا تأبى إلا أن تجثم على صدرها في تحدٍ سافر لقوة تحملها .

حاولت الخروج من أزمتها بأن شغلت نفسها بعملها في الجامعة وبتربية بناتها حتى يتسنى لها النسيان والبدء من جديد .إلا أنها سرعان ما تعود لشرودها بمجرد ذِكر اسمه أمامها من إحدى بناتها أو أحد زملائها في عملها بالجامعة، أو إذا لمحته يدخل مدرج المحاضرات أو يخرج منه، برغم تظاهرها بالتماسك واللا مبالاة التي كانت تظهرهما في نظرات عينيها الثابتة ووجها المتجهم .

علمت أنه تزوج بالفعل وبعد شهور قليلة حملت زوجته الثانية ، انتظرت سماع أخباره وكانت تنتظر موعد ولادة زوجته كما لو كانت هي من ستلد ، حتى جاء موعد الولادة وعرفت أنه رزق بمولودتين من الإناث، وبذلك أصبح أب لخمس بنات، ولم يحظ بإنجاب الذكر الذي طلقها لأجل إنجابه من امرأة أخرى، وكأن القدر يعانده، غمرتها سعادة غامضة في تلك اللحظة وكأن عدالة السماء انتقمت لها بأن حرمته من إنجاب الذكور .

تذكرت في تلك اللحظة أنها لم ترث عن "نفرتيتي" جمالها وقوة شخصيتها وملامحها فقط، بل ورثت عنها أيضاً حظها التعِس، حيث أن الملكة التعيسة لم تنجب بنيناً بل أنجبت ست بنات، ما دفع زوجها

"اخناتون" للزواج بنساء أخريات طمعاً في إنجاب البنين، ولم ينجب "اخناتون" أيضاً ذكوراً برغم زيجاته المتعددة ومحاولاته المستميتة في إنجاب ولد ذكر واحد يخلد اسمه، ما أشبه اليوم بالبارحة.!

تذكرت أيضاً أن كل تلك الأحداث التاريخية حدثت في منطقة "تل العمارنة" والتي كانت تعرف قديماً باسم "اخيتاتون" والتي تقع بمدينتها التي ولدت وترعرت وعاشت فيها مدينة "ديرمواس" بالمنيا شمال صعيد مصر.

تساءلت ما عساه يكون هذا التشابه الغريب في الأحداث والشخصيات والأماكن؟ هل هو محض صدفة أم أن روح جدتها "نفرتيتي" قد تلبستها، وصبغت عليها من شخصيتها وأحداث حياتها كما لو كانت آلاف السنين لم تمر، أو كما لو كانت هي نفسها "نفرتيتي" القرن الواحد والعشرين .!

سجين الجسد

تخطيت مدة حكم بمؤبد، وإلى الآن أنا مسجون في سجن جسدي، والتهمة منزعج من نوع جنسي البيولوجي، أنا سجين جسد لا أنتمي له ولا يمثلني.

امضاء: "سجين الجسد"

لفتت انتباهها هذه العبارة الغريبة على أحد مواقع الإنترنت بعنوان "مضطربي الهوية الجنسية (ثنائي الجنس)" فبدأت تتصفح الموقع بدقة وتركيز لعلها تفهم ما ينطوي عليه هذا العنوان ومن هو صاحب هذا التصريح وما قصده ؟

أول ما لفت انتباهها هو عدد المشتركين في هذا الموقع والذين يصل عددهم إلى أربعة عشر آلاف ومائة وخمسة وخمسين متابع حول العالم من الذكور والإناث !

عرفت من خلال تجولها في الموقع أن من أنشأه هو شاب اسمه أحمد زياد، عمره سبعة وعشرون عاماً، وأن معظم مقالات هذا الموقع هو من يقوم بكتابتها ونشرها وبعض المشتركين على الموقع والذي يصل عدد

مقالاتهم إلى أكثر من مائة مقال كلها تتحدث عن معاناة ثنائي الهوية الجنسية أو مضطربي الهوية الجنسية.

بحثت عن تعريف مصطلح "مضطربي الهوية الجنسية" وقرأت أنهم الأشخاص الذين لا تتفق ميولهم الجنسية مع شكلهم الجسدي كذكور أو إناث، بمعنى آخر: هي قناعة الفرد التي لا تتزعزع إلى انتماءه للجنس الآخر وعدم تكيفه أو تقبله لجسده الذي هو عليه .

في البداية استشعرت الغرابة لما تقرأه خلسةً خوفاً من أن يكون هناك أحد يراقبها ويراها وهي تقرأ في هذا الموضوع الشائك وعن هؤلاء الناس الذين ينظر إليهم المجتمع علي إنهم شواذ، دارت الأسئلة في مخيلتها من هم هؤلاء الأشخاص؟ هل من الممكن أن أكون على اتصال بأحدهم دون أن أدري؟ ماذا يمكنني فعله إذا اكتشفت بالفعل أنه يوجد أشخاصاً منهم في محيط تعاملاتي اليومية؟ هل أتجنبهم وأتحاشى التعامل معهم أو أتعاطف معهم وأتعامل معهم على أنهم أشخاص عاديون ؟ فما ذنبهم أنهم ولدوا بهذا الاضطراب؟

فهمت من خلال مقالات هذا الشاب ومن الأشخاص المشتركين معه في الموقع أنهم مرفوضون ومنبوذون من المجتمع، وأنهم يعانون الوحدة والانعزالية.

ساقها الفضول إلى الدخول لصفحته الشخصية على فيس بوك والتي كانت تحمل نفس اسم ذاك المقال و الذي كان أول ما قرأته على ذاك الموقع "سجين الجسد" وما إن ولجت صفحته وبدأت في تصفحها حتي اندهشت من كتاباته التي تنم على ثقافة عالية؛ فهو يكتب منشوراته باللغتين العربية والانجليزية، غير أن الشيء الأهم الذي لفت انتباهها هو أن معظم كتاباته رومانسية ما أثار تساؤلاً آخر يضاف إلى ثُلة التساؤلات السابقة لديها: هل هذا الشاب يكتب بشخصيته التي يرغبها أم التي ولد بها؟ هل هو ذكر أم أنثى لديها ميول ذكورية وتمنت لو أنها أصبحت رجلاً يحب ويشعر بالأنثى مثله مثل أي رجل عادي؟!

ظلت تتابعه لأيام في صمت دون أن تعلق على أيٍ من منشوراته التي تشي أيضاً بأن صاحبها يتمتع بحسٍ مرهف وبأنه تعرض للهجر من محبوبته .. محبوبته؟! هل كانت له محبوبة؟ كيف؟ وكيف كانت تتعامل معه؟ هل كانت تدرك معاناته تلك؟ وكيف كان رد فعلها؟ هل هذا هو سبب هجرها له أم أن هناك سبباً أخر؟

لم يزدها دخول صفحته ومتابعتها له سوى حيرةً وفضول. إلى أن قررت يوماً أن تُنهي هذا الفضول بأن كتبت تعليقاً على آخر منشوراته بعنوان "مقيد الروح في جسد فاني" كتبت في خانة التعليقات تعليقاً قالت

فيه: سجين الجسد بسجن مؤبد وإلى الآن مسجون في سجن جسدي"! أول ما وقعت عيناه على التعليق بُهتَ لأن هذه مقولته من إحدى مقالاته على ذاك الموقع. إذن فصاحبة التعليق قد دخلت الموقع وقرأت بعض مقالاته أو ربما قرأتها كلها . تُرى من تكون هذه الفتاة؟ هل فهمت معاناته، تعليقها مبهم لا يوضح موقفها منه هل هي متعاطفة معه أم أنها مجرد متابعة ساقها الفضول إلى صفحته؟ لم يرد على تعليقها اكتفى فقط بضغط تعبير "أعجبني"، لكن في قرارة نفسه بدأ يشعر بالفضول لمعرفة هوية صاحبة التعليق، فسارع بالدخول إلى صفحتها وتصفحها عسى أن يعرف عنها شيئاً يدله على شخصيتها لكنه لم يستدل على شيء، فهي لم تكن تضع أي معلومات عنها، حتى صورة الملف الشخصي لها كانت عبارة عن باقة من الورود، كما أن منشوراتها لم تكن ظاهرة يبدو أنها لا تظهرها لغير الأصدقاء أو أنها لا تظهرها من الأساس.

أرسل لها طلب صداقة لكنها لم تقبله، ولم ترفضه أيضاً بل تركته معلقاً ما جعله يحار في أمرها.

بعد ثلاثة أيام كتب منشوراً آخر بعنوان "وحين يسألونكِ عني قولي لهم إني ميت على قيد الحياة" لم تعلق هذه المرة على منشوره لكنها اكتفت بضغط تعبير "أحزنني" .

زاد فضوله فدخل صفحتها للمرة الثانية وأرسل لها رسالة نصية بها ثلاثة علامات استفهام وعلامتي تعجب ؟؟؟!!

علم أنها قرأت رسالته من مؤشر وصول الرسائل، لكنها لم تجبه .

أرسل لها رسالة أخرى قائلاً: أراكِ متابعة جيدة لصفحتي وكذا موقعي الإليكتروني وأنا أشكرك لهذا الاهتمام، ولكن ألا يجدر بنا أن نتعرف حتى يتسنى لنا أن يفهم كلٌ منا الآخر؟

أجابته بعد مضي عشر دقائق كأنها كانت تفكر بالإجابة أو كأنها كانت تنتقي الإجابة المناسبة لسؤاله: ولماذا يفترض بنا أن يعرف كلٌ منا الآخر؟ إن هذا العالم افتراضي وليس من المفضل لي أن أتعامل مع أشخاص افتراضيين بشكل شخصي.

أجابها: حتى لو كان هذا التعارف بشكل افتراضي؟

ردت: ماذا تقصد؟

رد: أقصد بما أن كلينا ينتمي إلى هذا العالم الافتراضي إذن فكلانا افتراضب وبما إننا افتراضيان فعلى الأقل يمكن أن يعرف كلٌ منا الاسم الأول فقط للطرف الآخر فأنا لا أحبذ التعامل مع شخص مبهم وكأنه شبح، يكفي أنني لا أراكِ فعلى الأقل أمديني باسمك فقط .

لم ترتح لطلبه وردت بحدة: حبذ ما تشاء، لستُ مضطرة للانصياع لرغباتك. وأرفقت مع رسالتها وجهاً تعبيرياً غاضباً .

رد وكأنه دخل حقلاً للألغام: أعتذر عن تطفلي، لن أزعجك برسائلي مرة أخرى.

ردت وكأنها تراجعت عن موقفها: يمكنك أن تناديني "روح" أليست ألاشباح أرواحاً؟

ضحك لمداعبتها المستترة: وهذا يكفيني مبدئياً، لعل هذه الروح الطيبة تشفق علينا يوماً وتكشف لنا عن هويتها.

ردت: وأنت ما اسمك؟

رد: سجين الجسد!

ردت: هذا اسمك الافتراضي، عموماً أنا أعرف اسمك، قرأته على مقالاتك على هذا الموقع .

رد: أفهم من هذا أنكِ مهتمة بمقالاتي؟

ردت: إلى حدٍ ما .

سألها وكأنه يريد معرفة رأيها بموضوع بعينه: ما أكثر مقال أعجبك من بين مقالاتي؟

لم تجبه.

سألها: سؤالي صعب؟

ردت: أُفضل الاحتفاظ بالإجابة لنفسي.

رد: كما تشائين.

ردت: ولكن ثمة شيءٌ غامض لا أفهمه

خفق قلبه لأنه توقع ما تريد الاستفسار،

فسألها متوجساً: أي شئ؟

– سأكون صريحة معك وأخبرك بأني أتابعك منذ عدة أسابيع، قرأتُ كل مقالاتك تقريباً وكذلك منشوراتك على صفحتك الشخصية بالفيس بوك، وفهمت من خلال متابعتي شيئاً لا أدري إن كان ما فهمته صحيحاً أم خاطئاً.

رد: وماذا فهمتِ يا تُرى؟

ردت: فهمت أنك متحول جنسياً!

رد: سأكون صريحاً معك مثلما أنتِ صريحة معي وأجيبك بكل وضوح... نعم.

صمتت

سألها: أزعجتكِ صراحتي؟

ردت: أدهَشَتْنِي!

رد: أنا لا أحب تجميل الكلام وليس من صفاتي الكذب.

ردت: جميل، ولكن هذا يعني أنك كنتُ أنثى وتحولت إلى ذكر؟

رد: نعم هذا ما حدث بالفعل.

سألته: ولكن لماذا؟

رد: هذا موضوع معقد ويطول شرحه، لكن حماسك هذا الذي أستشعره في أسئلتك يجعلني أتجرأ وأطلب منكِ أن نتحدث هاتفياً، إذا لم تمانعي.

أجابت بانفعال: ماذا؟ ليس معنى أني مهتمة بقضيتك أن تطلب مني هذا الطلب.

رد: أعتذر، لم أقصد مضايقتك بطلبي لكني فقط أردتُ أن أوضح لكِ حقيقة معاناتي منذ ولادتي حتى هذه اللحظة، وارتأيتُ أنه من الأفضل أن نتحدث هاتفياً، لكن طالما الفكرة لم تروق لكِ إذن فانسي طلبي.

ردت: أنا عندي فكرة أخرى أرى أنها أنسب على الأقل كبداية تعارف بيننا.

رد: ما هي؟

يمكنك أن تفتح كاميرا المحادثة كي أتأكد من كونك رجل، كما أنك يمكنك أن تحدثني وأنت فاتح الكاميرا كي أرى تعبيرات وجهك ، فللوجه تعبيرات أدق وأصدق.

فكر في طلبها ملياً، ثم أجابها: موافق.

وبالفعل فتح كاميرا المحادثة وابتسم لها من خلالها.

اندهشت لما رأته حيث رأت أمامها شاباً كامل الرجولة – مظهرياً على الأقل – كما إنه وسيم، تظهر على ملامحه علامات الطيبة والحزن في آن واحد.

نطق قائلاً: لماذا صمتِ؟ هوذا أنا الذي يكلمكِ، والذي أردتِ أن تعرفي حقيقته.

كتبت وقد زادت دهشتها بعد سماع صوته الرجولي: في الواقع أنا مندهشة لما أرى وأسمع.

قال بعد قراءة ردها: معكِ حق، أعذر دهشتك واستغرابك، وأعلم أنكِ تتسائلين كيف لهذا الشخص القابع خلف الشاشة والذي أراه بكامل رجولته أن يكون متحولاً جنسياً! كيف كان أنثى في يوم من الأيام! أليس كذلك؟

ردت كتابة: هذه تساؤلاتي بالفعل . أنا الآن لدي فضول أكثر من ذي قبل لمعرفة الكثير عنك، من أنت؟ وما قصتك؟

رد قائلاً: سأقص عليك حكايتي بالتفصيل، فأنا أتوسم فيكِ سعة الأفق، كما أنني أحتاج إلى مَن يشاركني معاناتي، فقد تعبتُ من ألم الوحدة والعُزلة.

بدأ يسرد لها حكايته قائلاً: بدايةً؛ سأحكي لكِ عن طفولتي التي تعتبر عادية إلى حدٍ ما، حيث أنني ولدتُ أنثى من أبوين طيبين حنونين لكنهما بسيطين كمعظم آبائنا وأمهاتنا، وكنتُ الأوسط بين إخوتي، لي أخ يكبرني بثلاثة أعوام وأخت تصغرني بعامين، مرت سنوات عمري الثمانية الأولى ، بدون حدوث أي شيء ملفت أو غريب، ولكن بعد وصولي سن التاسعة بدأت أميل للعب مع أخي تلك الألعاب التي تميز الأولاد كلعب الكرة أو التسابق بالجري أو المصارعة، أي بدأت أهتم بلعب الألعاب العنيفة ،وأتجنب اللعب مع أختي بالعرائس وتصميم أشكال فنية رقيقة بيدي كالكروشيه وخياطة فساتين صغيرة للعرائس بإبرة الخياطة مثلما كانت تفعل أختي ومثلما كنتُ أشاركها من قبل، في البداية لم تكترث أمي لهذا التغيير المفاجيء في شخصيتي، لكن بعد ذلك ومع التغير الملحوظ في تصرفاتي باتت أمي تنزعج من تلك التصرفات وتنتهرني قائلة: ما بالكِ أنتِ ولعب

الأولاد؟ أنتِ بنت، والبنت لا يجب عليها أن تلعب لعب الأولاد، هيا اذهبي شاركي أختك ألعابها ودعكِ من اللعب العنيف هذا.

كنتُ أذهب إلى غرفتي متذمرةً، فأنا لا أريد اللعب بألعاب البنات فهي لا تروق لي، وكنتُ أتسائل لماذا يجبرونني على اللعب بأشياء لا أحبها ويحرمونني من اللعب بالأشياء التي أحبها؟!

ثم كنتُ اتسلل على أطراف أصابعي إلى غرفة أخي وأبدأ في اخراج بعض ثيابه ثم أخلع ثيابي وأرتدي ثيابه وأنظر إلى نفسي في المرآة باعجاب بالزي الصبياني، فحتى ملابس البنات بدأت أكرهها وأميل إلى ارتداء ملابس الأولاد. كنت كلما مررت بدكان لبيع ملابس الأولاد أقف أمام فاترينة العرض وأتخيل نفسي بهذا الزي.

كنتُ أقتطع من مصروفي الشخصي وأدخره لشراء ملابس أولاد وكنتُ أخبئها في حقيبة مدرستي حتى لا يراها أحد وتحدث مشكلة، كنتُ كلما خلوتُ بنفسي في غرفتي أغلق بابها بالمفتاح من الداخل وأقوم بارتداء ملابس الأولاد التي اشتريتها ، وانظر لنفسي في المرآة بمنتهى الحب والإعجاب، فكم كرهت ملابس البنات وكرهتُ ارتداءها.

ظللتُ على هذا الحال حتى وصلتُ سن الثانية عشر، هنا بدأت معاناتي الحقيقية حيث بدأت علامات الأنوثة تظهر على جسدي، ما جعلني أكره جسدي وأنظر له نظرة اشمئزاز.

هنا استوقفته "روح" وكتبت: هذا بالتحديد ما أريد معرفته، كيف تصرفت إزاء جسدك في هذه المرحلة الحرجة؟

أجابها قائلاً: كانت هذه المرحلة هي بداية المتاعب بالنسبة لي، كنت أحضر قماشة كبيرة وأربط بها صدري حتى أخفي بها نهديَ، والأدهش والأهم هو أنني بدأتُ أميل جنسياً إلى الإناث، وكانت الأفكار تلك تتعبني جداً ولم أجرؤ حينها على التحدث مع أحد عن تلك الأفكار والمشاعر، بدأتُ أنعزل عن الناس، أتغيب عن مدرستي كثيراً بحجج واهية، أنعزل في غرفتي عن أهلي بالساعات حبيس أفكاري ومشاعري، حتى حدث شيء غير مجرى حياتي تماماً.

كتبت له متسائلةً: ما هو هذا الشيء؟

أجابها: كان هذا في المرحلة الثانوية حيث كانت مدرستي عبارة عن مدرسة بنات فقط، كانت لي معلمة طيبة جداً كنتُ من فرط حنانها أعتبرها مثل أمي، لاحظت معلمتي شرودي المستمر وانعزالي عن باقي زميلاتي وتغيبي المتكرر عن المدرسة فطلبت التحدث معي على انفراد، ذهبت معها

إلى مكتبها وما إن جلسنا شرعت في توجيه الأسئلة، كانت أسئلتها من نوعية .. ماذا بكِ؟ أراكِ دائمة الانعزال عن زميلاتك، هل تعانين من شيء؟ هل تحتاجين مساعدتي؟ كنتُ أرد عليها بكلمات مقتضبة مثل .. لا شيء ، أشكرك ، أنا بخير.

عندما شعرت أنني لا أريد التحدث لم تلح علي بأسئلتها لكنها قالت أنها مستعدة لمساعدتي في أي وقت إن احتجت لمساعدتها.

ذهبت إلى بيتي في ذلك اليوم محملةً بالهموم، فقد فجرت أسئلة معلمتي ينابيع من الدموع كانت حبيسة عينيّ منذ سنوات، قلت لنفسي: ماذا أجيبها؟ أأفضي لها سري الذي لم أجرؤ يوماً عن الإفصاح به لأحد؟ وإذا حدث وأفصحتُ لها عن متاعبي هل ستفهمني؟ هل ستساعدني كما قالت لي؟ لم أنم تلك الليلة وبكيتُ كثيراً متقلبة في فراشي حتى الصباح. في اليوم التالي ذهبتُ إلى مدرستي وقد اتخذت قراراً جريئاً، قررت أن أنهي متاعبي بأن أخبر معلمتي بمعاناتي، وقلتُ لنفسي حتى وإن لم يمكنها مساعدتي فيكفي أني سأزحزح من على صدري جبلاً من الهموم لم أعد قادرة على تحمله وحدي . وليكن ما يكون .

وبالفعل ذهبتُ لمعلمتي في مكتبها وشرحتُ لها حالتي ومعاناتي ، والمدهش أنها كانت تنصت لشكواي دون تذمر أو استغراب بل والأدهش ما قالته لي بعد انتهائي من حديثي معها بأنها سوف تساعدني لأتخطى محنتي، قالت : أنا على دراية بنوعية حالتك لأني قرأتُ عنها كثيراً وسوف أقابل والديكِ وأتحدث معهم في مشكلتك لأشرح لهم طبيعة حالتك وما يجب عليهم فعله حيال ذلك، أنتِ تعانين مما يسمى"اضطراب الهوية الجنسية" وبعد أن شرحت لي ماهيته وأعراضه التي هي بالظبط الأعراض التي أعاني منها أخبرتني بأنه ثمة عملية تسمى بالتحول الجنسي وهذا ما سوف تتحدث فيه مع والديَ.

رجوتها كثيراً ألا تتحدث معهما في هذا الشأن لأنهما لو علما فسوف يعاقباني لمجرد التفكير في مثل هذا الامر . طمأنتني بأنها ستقف بجانبي ووعدتني بأنها لن تتركني وحدي لمعاناتي .

قاطعته "روح" كاتبةً: وهل بالفعل تحدثت معلمتك مع والديك؟

أجابها : نعم في اليوم التالي أتت لزيارتنا في البيت وجلست مع أبي وأمي على انفراد وتحدثت معهما في مشكلتي ، وما إن خرجت معلمتي من البيت حتى انهالت علي السباب والشتائم منهما بل ووصلت إلى الضرب وتهديدي بالموت إذا ما أفصحت لأحد عمّا قالته لهما المعلمة.

ساءت حالتي وانقطعت عن الطعام حتى كدت أفقد حياتي، عرضني والداي على طبيب نفسي ظناً منهما أنني أعاني من مرض نفسي ، ولما وجدا أنه لا فائدة من العلاج النفسي أخذاني لشيخ طريقة ليخرج مني العفريت الذي تلبسني على حسب اعتقادهما.

ازدادت حالتي سوءاً حتى جاءت مرحلة دخولي الجامعة ونظراً لخوف أهلي عليَ من أفكاري أجبروني على الالتحاق بكلية للبنات، لم أتحمل كل هذا الضغط عليَ من كل جانب فهربتُ من البيت وتركتُ دراستي الجامعية .عملتُ في أعمال كثيرة حتى يتسنى لي الصرف على نفسي والاستقلال بحياتي، كما أني ذهبتُ إلى كليتي بعد انقطاع عام كامل عن دراستي وطلبت تحويلي إلى كلية أخرى، وفي محافظة أخرى غير محافظتي، وبالفعل تم تحويلي إلى جامعة القاهرة، وفي القاهرة تبدلت أحوالي تماماً حيث أنه في هذه العاصمة الكبيرة لا أحد يعرفني ، لكن ما كان يعذبني هو أنني أعيش بشخصيتين، ففي ذهابي للجامعة أذهب كأنثى وفي ذهابي للعمل أذهب كرجل، لكني في المقابل كنتُ قد تحررتُ أخيراً من ضغط أهلي وهذا جيد كخطوة مبدئية، بدأتُ أفكر جدياً في عملية "التحول الجنسي" لكن كان علي الانتظار حتى يمكنني الحصول على ثمن اجرائهاا، ضاعفت جهدي في العمل وفي غضون شهور قليلة كان قد اكتمل المبلغ المطلوب وبرغم

مخاطرها التي أعلمني بها الطبيب الذي أجرى لي العملية والذي قال لي أنها بها الكثير من المخاطر وقد تعرض حياتي للخطر وتسبب لي الوفاة إلا انني صممت على إجراءها مهما كانت النتائج، حتى إنني إذا مِتُ فالموتُ عندي أفضل من الجحيم الذي أعيش فيه.

لم أجد من يسندني في هذا الوقت الحرج غير معلمتي التي انقطعت أخبارها عني منذ هروبي من محافظتي ومجيئي للقاهرة، لكن بطريقة أو بأخرى أمكنني الحصول على رقم هاتفها، فهاتفتها وقلتُ لها عما أنوي الإقدام عليه وأنني أحتاج لمساعدتها، على الفور أتتني وكانت بجانبي أثناء إجراء العملية ولم تتركني لحظة واحدة حتى تم شفائي تماماً، وبعد العملية ومع بعض أدوية الذكورة أصبحتُ رجلاً بكامل رجولتي .

ردت "روح": كل هذه المعاناة عانيتها وحدك؟ يالكَ من مسكين.

أجابها: المعاناة الأكبر أتت بعد عملية التحول.

سألته: كيف؟ ألم يكن هذا ما تريده؟

أجابها: بالطبع، لكن هذا ما لا يريده المجتمع ولا الحكومة ولا الناس.

سألته: وما دخل كل هؤلاء برغبتك؟

أجابها: بعد إتمام العملية قررت تغيير بطاقتي حتى تتناسب مع نوعي الجديد وأحول النوع في البطاقة من "أنثى" إلى "ذكر"، وهذا ما قوبل بالرفض بل والتجريح والإهانة واتهامي بالإلحاد والاعتراض على خلقة الله سبحانه وتعالى.

قالت: يالها من مشكلة كبيرة حقاً، وماذا فعلت؟

ظللتُ على حالتي تلك أنثى في البطاقة وذكر في الواقع حتى أنهيتُ دراستي الجامعية.

سألته: ثم؟

أجابها: ثم قررتُ السفر خارج مصر وبالطبع السفر بطريقة غير شرعية حيث اضطررتُ للحصول على بطاقة مزورة باسم رجل وقد أسميتُ نفسي "أحمد زياد"، وعرضتُ حياتي للخطر مرة ثانية عندما سافرتُ إلى ألمانيا عن طريق البحر ورأيتُ الموت بعيني لولا العناية الإلهية و بقية في العمر ما نجوت. المهم أنني حين وصلتُ إلى هنا لاقيتُ معاملة حسنة من المجتمع والناس فهنا لا ينظرون للمتحول جنسياً على أنه شاذ أو مريض نفسيي أو ملحد كما يراه الناس عندنا في مصر ومجتمعاتنا الشرقية عموماً.

سألته: أتعني أنكَ لازلت تعيش في ألمانيا؟

رد: نعم صار لي هنا خمسة أعوام ولا أفكر في الرجوع إلى مصر مرة ثانية. كيف أعيش في مجتمع يرفضني وينبذني ؟!

قالت: حكايتك غريبة فعلاً، لكن ما قصة كتاباتك الرومانسية والتي فيها تشكو من هجر المحبوبة؟

ضحك وأجابها: لا هذه حكاية أخرى سوف أحكي لكِ عنها فيما بعد، لكن الآن وبعد أن أصبحتِ تعلمين عني كل شيء، ألا تخبريني عنكِ أنتِ أي شيء؟

ردت: سأرسل لك صورتي الآن.

جاءه ردها في صورة أرسلتها له بها الإجابة التي لم يكن يتوقعها، كانت الصورة لشخصين يشبهان بعضهما تماماً أحدهما أنثى والآخر ذكر أما صورة الذكر فمكتوبٌ عليها كلمة "قبل" وأما صورة الأنثى فمكتوب عليها كلمة "بعد" .!

احتياج

أصبَحَتْ محترفة فنون إيقاع الرجال، تعلمت كيف ومتى وأين تستخدم أسلحتها الفتاكة في القنص والانقضاض على فريستها، نظرتها الجريئة والخجلى في آن واحد، مشيتها المختالة الواثقة بنفس الوقت، صوتها الرقيق المتغنج ناعم النبرة، جسدها المحتشم والمثير معاً، تعلمت الدمج بين الشيء ونقيضه، متى تتكلم ومتى تصمت، متى تقترب ومتى تبتعد، متى وكيف تنظر ثم متى وكيف تتجاهل، انتزعت من داخلها تلك الطفلة البريئة وتقمصت دور المرأة كاملة النضج والأنوثة، خلعت تاج العفة ولبست قناع الغواء.

لم يحدث هذا كله بين ليلة وضحاها بل هو نتاج ليالِ طوال قاست فيها آلام الوحدة والحرمان والاحتياج، كانت متزوجة وعزباء، تركها زوجها بعد عامٍ واحد من الزواج ليعمل في إحدى الدول الأوربية، لم تكن راغبة في سفره وابتعاده عنها، ترجته كثيراً للعدول عن قراره، ناقشته، عنفته ، لكن دون فائدة، كانت حجته أنه كره البلد وقلة مواردها، وأنه راحل ليعيش بكرامة في بلد آخر، ثم أنهى مناقشتهما العقيمة بوعد لم يوفه بعد، بأنه سوف

يعود بعد عام أو عامين على الأكثر بعد أن يجمع قدراً مناسباً من المال ليوفر لهما العيش المرفه الذي طالما حلمَ به، لم تقتنع بحجته لكنها صمتت في يأس، فقد اتخذ قراره وحزم أمتعته وطار من عشهما الصغير راداً خلفه الباب، تاركاً إياها وحيدة بين أربع جدران موحشة وليالٍ شتوية باردة، ولهيب أنثوي لا يمكن لتلك الأموال القادمة من البلاد البعيدة أن تطفئه، بكت كثيراً عندما هاتفها للمرة الأولى بعد سفره، لكنه لم يسمع بكاها، صم أذنيه وقلبه عن صرخات أنوثتها الثائرة، جاءت كلماته على مسامعها أبرد من ليالي شتائها القارص البرودة، ثم جاءت المكالمات التالية فاترة من نوعية أفتقدك، كيف حالك، تحملي، إلى اللقاء.

جلست تتأمل حياتها وما آلت إليه، تساءلت أين رحل الزوج والحبيب؟ ولماذا؟ أمن أجل حفنة دولارات؟ يتركني هنا وحيدة؟

لطالما أحبته واشتهته كما تشتهي الزهور قطرات المطر، وحده من بيده إطفاء تلك الشهوة - أو هكذا ظنت – إن ما حدث منه أكد لها أنها كانت واهمة، لم يكن يحبها، كان يحب نفسه، لم يكن يشتهيها كان يشتهي المال والغنى، بل لم يكن يراها، لم يكن يرى سوى أحلامه الجامحة، ثم ماذا؟ عادت بخُفي حُنين، عادت وكل مشاعرها قد تبدلت، لحظات النشوى

الزوجية التي منت نفسها بها قبل زواجها و التي عاشتها معه عاماً واحداً منه تحطمت على صخرة الصد واللامبالاة .

بعد معاناة كبيرة وصراع داخلي بين احتياجها وصبرها وعقلها وقلبها وضميرها قررت الثأر لجرح كبريائها الأنثوي على طريقتها الخاصة، جعلت جسدها ماءً لكل عابر سبيل، كانت كلما ألقت بجسدها في حضن رجل غيره شعرت بلذة الانتقام ونشوة الانتصار، صارت امرأة أخرى غير تلك المرأة القديمة، لم تعد تنتظر الغائب ولا تستجدي الحب من رجل جعلها تكره كل الرجال ووجدت أن إيقاعهم جميعاً في حبائلها هو أعظم انتقام .

مر عام واثنان وثلاثة والزوج الغائب لا يعود ، مازال منشغلاً بتعبئة حقائبه بالعملات الأجنبية، وبينما يزداد عدد الأصفار لأمواله في البنوك الأوربية يقل رصيده في قلب زوجته الغارقة في بحر اللذة.

أخيراً وبعد مرور أربعة أعوام من الغياب قرر العودة، ارتبكت زوجته حين علمت منه أنه حجز تذكرة الطيران وأنه سيصل خلال يومين، لم يبدُ على صوتها اللهفة لسماعها الخبر ولا على ملامحها البهجة حين عاد، شعر بالتغيير الحاصل لزوجته لكنه لم يجرؤ على سؤالها ظاناً أنها لازالت غاضبة لغيابه كل تلك السنين، أو أنها اعتادت على الوحدة وأنها تحتاج إلى بعض الوقت لتتعود عليه مرة أخرى .

بدأ يخرج لها من حقائبه المتخمة بالهدايا كل ماتشتهي الأعين والأنفس من ملابس وعطور ومساحيق تجميل، تلقتها كلها بابتسامة باردة تسائل إثرها إن كانت الهدايا لا تعجبها أم أنها فقدت الاقتناء فقط، اكتشف أنها فقدت الشهية لكل شيء ليس فقط للاقتناء؛ حين اقترب منها في فراش الزوجية صدمته برودتها الغير معهودة، ساورته الشكوك وبدأ في طرح أسئلته التي تملأ رأسه منذ عودته، ماذا بكِ؟ لماذا تغيرتِ؟ هل لم تعدي تحبينني؟ أم أن ما يحدث منكِ هو حالة عابرة ستمر بعد أيام وتعود المياه إلى مجاريها؟

كانت صدمته الأكبر حين طلبت منه الطلاق!

- الطلاق؟ ماذا تقولين؟ أجننتي؟
- لا يازوجي العزيز بل كبرت
- ماذا تقصدين؟
- أقصد أنني لم أعد تلك الزوجة الصغيرة الراضية المطيعة الوفية، تركتني في أكثر أوقات احتياجي لوجودك بحياتي، تركتني للوحدة تفترسني والشوق يمزق أحشائي تمزيقاً، قتلت حبي لك بغيابك القاسي، سافرتَ لجلب الأموال لتشتري بها ما حُرمتَ منه وحرمتني

أنا من أبسط حقوقي كزوجة لا يمكن شراء قلبها الذي لم يعد لك مكان فيه.

- ألم أسافر من أجلنا؟ ألم أتحمل الغربة والعمل الشاق كي أوفر لكِ حياةً كريمة؟
- لم أطلب منك ذلك، كل ما كنت أطلبه هو بقاؤك معي، تدفيء فراشي البارد، تدفئني أنا وروحي بأنفاسك، أنت لا تدري كم عانيتُ في غيابك.
- وها أنا عدت إليكِ
- فات الأوان، لم أعد أنا كما أنا، ولا رغبتي بك كماهي.
- إني أحبِك
- وأنا لم أعد أحبَك
- لن أطلقكِ
- سأخلعكَ
- ماذا؟ أإلى هذا الحد أصبحتِ لا تطيقين العيش معي؟
- إلى هذا الحد ماتت مشاعري، بل مِتُ أنا.!

حب من نوع آخر

صرخة رقيقة شقت عتمة الليل وسكونه

كانت الصرخة آتية من فمٍ صغيرٍ انطلقت كالبوق

معلنةً عن قدوم أنثي جديدة ممهدةً الطريق لاستقبالها

وبعد طول انتظار من أمها وأبيها ها قدماها تطأ أرضها ومسقط رأسها في إحدى قرى صعيد مصر ، حملها أبيها ببضعة مشاعر مختلطة، بلهفةٍ وشوقٍ وفرحٍ وبكاء، كاد لايصدق عينيه اللتين تريان مولودته الجميلة لأول مرة ولا يديه اللتين تحملانها في دهشة " يالروعة الخالق" صاح في دهشة عندما نظر إلي وجهها الذي يشبه القمر المنير، وجه أبيض كالثلج تزينه ثلاث حبات رُمان، حبتان في الوجنتين وثالثة على الفم الصغير الرقيق سآخذ من خِلقتها الجميلة اسماً لها سأسميها "رُمانة"

ولكن أمها كان لها رأي آخر شعرت أن ابنتها نسمة رقيقة أرسلها لها الله هدية من السماء ليلطف عليها ووزوجها وهج الصيف، لذا اختارت لها اسم "نسمة"

اتفقا الوالدان على تسميتها نسمة بشهادة الميلاد ، ومريم بالبيت وبين أفراد العائلة اسم الدلع "رمانة".

أخذتها منه لترضعها بعد أن وافق على مضض فلم يكن يريد أن يتركها تبتعد عن حضنه لحظةً واحدةً ، إلا بعد أن وعدته زوجته بأنها ستردها إليه فور إرضاعها

مرت الأيام سريعاً ورمانته تكبر أمام عينيه وهو لم يتركها لوهلة من الزمن، فهو من علّمها أول خطوة خطتها على الأرض بل هو من كان يوقفها على قدميها ممسكاً بكلتا يديها رافعاً إحدى قدميه ليخطو بها خطوة بالتناوب مع قدمه الأخرى وهي مبتهجة تضحك ببراءة الأطفال، اسمه أول اسم نطقه لسانها "ب ا ب ا " يالها من كلمة مدهشة كان لوقوعها على مسامعه أثر البلسم على الجُرح، أول خط خطته على الورق كان هو ممسكاً بيدها يعلمها كيف ترسم الحروف، من كثرة ارتباط روحيهما كان يعرف مايجول بخاطرها حتى دون ان تبوح به.

في سن العاشرة من عمرها اكتشف ميلها الشديد إلى الموسيقى، وشغفها بالألحان، كان يراقب حركات جسدها المتمايل حين تسمع معزوفة موسيقية آتية من بعيد وكان يرى أصابع يديها الصغيرتين تتحرك في انسيابية تلقائية وكأنها هي من تعزف تلك المعزوفة. لم يتردد لحظة واحدة في إسعادها فهو

الوحيد الذي كان يعرف كيف يسعدها، عزم إرادته وحسم قراره وأخذ كل ماكان يملك من نقود رغم إنه لم يكن يملك الكثير! وابتاع لها آلة موسيقية (أورج) كان يعرف أنها ستروق لها، وبالفعل ما إن رأته قادماً إليها بهذه الهدية التي طالما حلمت بها حتي صرخت فَرِحَة "حبيبي يابابا" قفزت طائرةً من على الأرض لتهبط في حضن أبيها " كيف عرفت ....؟!!" من شدة فرحتها لم تكمل جملتها.

لكنه كعادته فهم ماتريد أن تقوله دون البوح به . احتضنها بحبٍ جارف وربّت على كتفها في حنو وعطف هي معتادةً عليه.

ولم يكتفِ بذلك بل إنه ذهب إلى مدرس التربية الموسيقية في بلدتهم واتفق معه علي أن يقوم بإعطاء إبنته دروساً في الموسيقى وقد كان ، ظل معلمها يأتي إلى البيت ليعلمها العزف إلى أن أتقنته سريعاً كما تتقن الكلام.

كان الوالد الطيب يجلس بجوار ابنته و هي تعزف يطرب لسماع ما تؤديه من موسيقي يسرح بخياله مع عزفها الحزين ثم يطلب منها مقطوعات موسيقية فرحة فالدينا جميلة و هي جميلة.

مضت سنوات و سنوات و "الرُمَّانة" تكبر وتكبر، تذكر بدقة تلك التفاصيل الرائعة، كيف لها أن تنسى كل ذلك الحب؟! حتى بعد رحيل أبيها عن عالمها وبعد أن تزوجت وأصبحت شجرة رمان نضرة طرحت رمانتين

صغيرتين لم تنس أبداً هذا البستاني الذي رواها بالحب منذ نعومة أظفارها . وهاهي اليوم قد أتمت الخامسة والثلاثين من عمرها ولا زالت تتوق إلي حضن

ابيها، أيام أروع بستاني عرفته على وجه الأرض. ما زالت تجلس إلي الأورج تعزف لابنيها و خيالها يعود للسنوات الماضية تحاول عزف مقطوعات الموسيقي المبهجة إرضاءً للراحل الحبيب..لكن اصابعها تأبي إلا أن تعزف أنغاماً تسيل معها الدموع تبلل وجهها الفضي الجميل.

أين حافظتي؟

لا أذكرُ من أنا، ومن أين جئت، وإلى أين سأذهب! لا أذكر اسمي ولا سني، لا أذكر حتى إن كنت متزوجة أم عزباء .

الفتاة التي تسكن معي تقول إنها ابنتي وتخاطبني ب "ماما" ، أنا لا أعرفها ولا أذكر أنها ابنتي، لكني أشعر بشيء ما يربطني بها ويجذبني إليها، فيها شيئاً قريبٌ مني، هي تقول أنها تشبهني كثيراً حين كنتُ في مثل عمرها .. ربما .

هي تضع أوراقاً صغيرة على أشياء تقول إنها أشيائي، تكتب على تلك الوريقات أسماء تلك الأشياء وتلصقها عليها بإحكام حتى إذا ما احتجتُ منها شيئاً أقوم بقراءة الورقة الصغيرة الملصقة عليها وأتعرف عليها وأستعملها حسب حاجتي لها .

مَن هذه المرأة النحيلة شاحبة الوجه ذات الشعر الرمادي القصير والتي تقف أمامي وتنظر إلي؟! أعرف هذه الملامح ولكني لا أذكر صاحبتها ، قالت لي الفتاة الجميلة التي تسكن معي وتخاطبني ب "ماما" إن هذه المرأة

هي أنا ، وأن هذا الشيء الذي يعكس صورتي هو مرآة، نعم أعرف المرآة لكنني لا أعرف المرأة التي بداخلها، إنها لا تشبهني !

ثم ما هذا الشيء الموضوع على ... على ماذا ؟ لا أذكر اسمه ، لا يهم ، المهم أن هذا الشيء مكتوب عليه "ألبوم صور" قالت لي الفتاة الجميلة التي تسكن معي وتخاطبني ب "ماما" أن الأشخاص الموجودين في الصور هم نحن ، لا أدري ماذا تقصد بكلمة "نحن" ! أه تذكرت : قالت لي : هذه انتِ يا ماما قبل عشرين عاماً لا قبل عشرة أعوام لا قبل ثلاثين عاماً ، لا أدري كم قالت بالتحديد، كل ما أذكره أنها قالت لي إن الطفلة الصغيرة التي تجلس على فخذي هي نفسها التي تخاطبني، وإن الطفل الصغير الذي يحمله رجل ذو ابتسامة هادئة هو ابني وأخوها الصغير، والرجل الذي يحمله هو أبوها وزوجي، أين هما إذن؟ أين هذان الرجلان؟ أين زوجي وابني؟ لا أذكر ما قالته لي عنهما .

منذ فترة، فقدتُ شيئاً ثميناً جداً ، قالوا لي أن الشيء الذي فقدته هو ذاكرتي ، لم أفهم المصطلح فأوضحوا لي أن الذاكرة هي عبارة عن حافظة تُسجل فيها تلقائياً حياتنا منذ الولادة وحتى الموت ، أين ذهبت حافظتي؟ فقدتها، ضاعت مني أو ضعتُ أنا منها، أضناني البحث عنها ولم أجدها.

بحثتُ عنها تحت هذا الشيء المكتوب عليه سرير ،وفوق هذا الشيء المكتوب عليه دولاب، وبين هذه الأشياء المكتوب عليها ملابس ، ولم أعثر لها على أي أثر .

منذُ عدة أسابيع أو أيام أو شهور نزلتُ إلى الشارع لأبحثُ عنها ، قابلني ذلك الرجل القابع أمام البناية التي أقطن بها وسألني: رايحة فين ياست؟ قلتُ له: أبحث عن ذاكرتي؟ ضحك الرجل ولا أدري لماذا ضحك! ثم جذبني من يدي وأصعدني إلى شقتي قالاً لي إنه سيبحث معي عن ذاكرتي المفقودة في بيتنا . صرخت الفتاة الجميلة التي تقطن معي وتخاطبني ب "ماما" حين رأتني أمام باب الشقة مع ذلك الرجل الضاحك ، قالت: أين ذهبتِ يا "ماما" ؟ أجبتها: ذهبتُ أبحث عن ذاكرتي المفقودة ، انزعجت جداً وسحبتني إلى الداخل وأغلقت الباب بعد أن شكرت الرجل ، واحتضنتني وبكت ، بكيتُ لبكائها ، لا يمكنني رؤيتها تبكي ، تتمزق أحشائي إذا ما لاح الحزن أو الدموع في عينيها . لماذا أتذكر هذا الموقف بالذات ؟! ولماذا أرتجف كلما سمعت كلمة "ماما" من تلك الفتاة الجميلة ؟

كلما سمعتها تخاطبني ب "ماما" تتراءى أمامي صور ضبابية كثيرة لأشخاصٍ أسمعهم ينادوني ب "ماما" ، أسمعهم يضحكون وأنا أضحك معهم ، أرى شبح بيت قديم، أشتم رائحته التي ألفتها منذ زمن ، لكن

سرعان ما تتلاشى الرائحة والبيت والأشخاص والضحكات ، وأراني قابعة وحدي في زواية من بيت متهدم، ثم أنظر بعيداً على مداد بصري لأجد تلك الفتاة الجميلة فاتحة لي ذراعيها وتناديني "ماما" ، أركض نحوها وتركض نحوي حتى نلتقي وأرتمي بين ذراعيها كطفلٍ تائه وجد أمه أخيراً .

أتمنى لو أنني أجد ذلك الشيء المسمى "حافظة" لأحتفظ بها ولا أضيعها مني أبداً ، سأستبدل بها تلك الوريقات الصغيرة الملصقة على كل أشيائي، أظنني لن أحتاج إليها بعد، ستعيد إليَّ ذاكرتي المفقودة أسماء الأشياء ، والأشخاص، والأماكن . سأتذكر حتماً ذلك الرجل الباسم الواقف بجواري في الصورة ، وذلك الطفل الذي يحمله على ذراعه، وتلك الطفلة التي تجلس على فخذي ، وتلك الفتاة الجميلة التي تقطن معي وتخاطبني ب "ماما" .

فـوبـيـا

كان أحمد وصديقه عمر ينتظران في البهو المخصص لانتظار المسافرين حيث تبقى على موعد اقلاع طائرتهما نصف ساعة ، نظر أحمد إلى الساعة الكبيرة المعلقة على الحائط في امتعاض قائلاً لعمر: لقد مللتُ الانتظار، صار لنا اكثر من ساعة ونصف الساعة ننتظر، ألم يكن في إمكاننا أن نتأخر قليلاً حتى نأتي في الميعاد المحدد بدلاً من هذا الوقت الضائع في الانتظار؟! رد عليه عمر محاولاً التخفيف عنه: إن ننتظر خير من أن لا نلحق بالطائرة ياصديقي .

- ياعمر، أنت تعلم أني أخاف جداً من ركوب الطائرات ولولا إلحاحك عليّ ماكنتُ وافقت على السفر معك .
- وتتركني وحدي أسافر لاستلام جائزتي ؟ أهذا يجوز؟
- وهذا بالظبط ماجعلني أوافق على مرافقتك في رحلتك هذه برغم أن دقات قلبي تتسارع من شدة الخوف .

ضحك عمر ملء شدقيه قائلاً: لأنك لستَ معتاداً على السفر ياصديقي، أنا كنت مثلك في المرة الأولى التي سافرت فيها مع

والدي الصيف الماضي، لكن الأمر مر بسلام، لاتخش شيئاً كل شيء سيكون على ما يرام .

- لا، لا يا عمر، الأمر مختلف بالنسبة لي، أنت تعرف أني أرهب كل الأماكن المرتفعة، حتى إنني أخاف ركوب المصعد الكهربائي وأفضل الصعود على الدرج مهما كان الطابق مرتفع .
- أعلم ياصديقي، وأنا أعتذر لك على إصراري على اصطحابك معي في رحلتي فأنت تعلم أني وحيد ليس لي أخ أو أخت وإلا كنت اصطحبت أحدهما معي، كما أن أمي بطبيعتها قليلة الخروج من البيت، ولا تفضل السفر ما بالك السفر بالطائرة! فهذا بالنسبة لها من رابع المستحيلات، فضلاً عن أن أبي مقيم خارج البلاد ولا يأتي إلا مرة واحدة كل عام كما تعلم ، بالاضافة إلى أنني لا أحب الوحدة في السفر، فأنت مؤنسي الوحيد ياصديقي .
- ابتسم له أحمد بدوره وربت على فخذه قائلاً: أعلم ياصديقي لا تعتذر عن شيء، واعذرني فأنا متوتر جداً .

وبينما كانا يتحدثان دقت ساعة الحائط الضخمة معلنة عن موعد وصول الطائرة، وسُمِعَ صوت أنثوي رقيق انطلق فجأة عبر مكبر الصوت.. على السادة ركاب رحلة رقم ٣٦٧ التوجه إلى بوابة رقم

خمسة للصعود إلي الطائرة استعداداً للإقلاع ، ثم تلاه نفس التنبيه باللغة الانجليزية .

- هيا ياأحمد، انهض، ماذا بك؟ ألم تكن تستعجل الوقت منذ قليل! هيا إذن.

نهض أحمد من على مقعده متثاقلاً، وقد زادت ضربات قلبه في الخفقان حتى كادت تخترق أذن صديقه.

شعر عمر بتوتر صديقه خاصةً بعد أن ضغط بيده الباردة المرتعشة على يده.

- ألهذا الحد أنت خائف؟ اهدأ ياصديقي، صدقني الأمر في غاية البساطة.

لم ينبس أحمد ببنت شفه، فقد ابتلع الخوف لسانه وشل أحباله الصوتية.

أخيراً وصلا إلى الصالة رقم ٥ صعدا ببطء إلى الطائرة وما إن ولجا الطائرة حتي وضعا حقيبتيهما في المكان المخصص للحقائب وجلسا على مقعدين متجاورين بحسب رقميهما في الجلوس، لازال أحمد يقبض بيده على يد عمر، حتى شعر عمر أن روح صديقه ستصعد

قبل صعود الطائرة إلى السماء، أثار شحوب وجه أحمد قلق صديقه فقال له مخففاً .

- أقترح عليك شيئاً تعلمته من خلال قراءاتي في علم "اليوجا والتأمل" كي يخفف من حدة توترك .
- بذمتك أهذا وقت اقتراحات؟ قالها في عصبية واضحة .
- فقط اسمعني، هذا تمرين خفيف سيساعدك على الاسترخاء وربما النوم .
- اقترح ياسيدي .. قالها أحمد بصوت واهن .
- اجلس جلسة مريحة ، اجعل ظهرك مستقيماً، خذ نفساً عميقاً ، استنشق ببطء واحبس الاكسجين قليلاً ثم اذرفه ببطء، كرر هذه العملية خمس مرات متتالية، ستشعر بعدها بالاسترخاء ويزول التوتر في الحال.
- حسنٌ، لأجرب (قالها أحمد بغير حماس)

وفعل ما اقترحه عليه صديقه، وبالفعل بدأ يشعر بتحسن حالته وشعر بالخدر يسري في كل جسده حتى أنه أغمض عينيه .

بعد ثوانٍ سُمع صوت مضيفة الطيران ترحب بالركاب وتتمنى لهم رحلة سعيدة، ثم أردفت: ستقلع الطائرة خلال دقيقتين، من فضلكم اربطوا الأحزمة، واستعدوا للاقلاع .

بمجرد سماع أحمد هذا النداء ارتجف ثانيةً وربط حزام الأمان، وعمر أيضاً، ثم بدأ في تلاوة بعض آيات من القرآن الكريم بصوت خفيض مرتجف، مرت الدقيقتان كأنهما عامان، وأخيراً بدأت الطائرة في الصعود .

ظل أحمد على هذا الحال حتى استقرت حالته نوعاً ما باستقرار الطائرة في الجو، عاد لينفذ نصيحة صديقه بممارسة تمرين الاسترخاء الذي فعله قبل اقلاع الطائرة حتى يتسنى له الهدوء عسى أن يمكنه النوم ولو قليلاً، وبالفعل فور قيامه بالتمرين غط في سباتٍ عميق.

بينما عمر لازال مستيقظاً، نظر إلى أحمد مبتسماً أن صديقه اطمأن أخيراً وزال عنه التوتر، وأتاه النوم أخيراً.

شرد عمر حين نظر من نافذة الطائرة حيث كان جالساً، مفكراً في جائزته التي بانتظاره في تلك الدولة المسافر إليها هو وصديقه ، مشاعر مختلطة اختلجته، ففي لحظة واحدة شعر بالسعادة، والتوتر، والحماس، والفخر، كانت هذه الجائزة عن مشاركته في مسابقة أدبية عن الصراع العربي–العربي ، وقد فاز فيها بالمركز الأول، بحسب ما أخبرته المختصة

بإعلام الفائزين بفوزهم عبر الهاتف، وبينما كان غارقاً في أفكاره حتى غلبه النعاس ونام هو الآخر .

بعد مرور وقتٍ لا يدريان كم كان، استيقظ عمر وأحمد على صوت شجار قوي بين اثنين من ركاب الطائرة، اتضح من صوتيهما ا أنهما عربيان يتحدثان بلهجتين مختلفتين، قال أحدهما للآخر كيف تجرؤ على مقاطعتي أثناء قراءتي؟ رد عليه الآخر قائلاً: إنك تزعجني بصوتك العالي في القراءة، أتريد أن تيعرف الجميع أنك رجل مثقف، علمنا ياسيدي، فلتقرأ في سرك اذن وكفاكَ تظاهراً!

- تظاهر! رد الرجل في عصبية .. أي تظاهر أيها الجاهل الأحمق، أنا لا اتظاهر ، هذه هي طريقتي المفضلة في القراءة، فلتجلس انت في مقعد آخر إذا كنت حقاً منزعجاً كما تدعي.

ثار غضب الرجل حين سمعه ينعته بالجهل والحُمق، وما كان منه إلا أن أمسك بالكتاب الذي بيده وطوحه بعيداً فسقط على سيدة عجوز كانت تجلس في مقعدها تشاهد المشاجرة الحامية وعيناها مفتوحتان على آخرهما مما جعل أوراق الكتاب الحادة تخدش مقلة إحدى عينيها فصرخت ألماً بلهجة

ثالثة مختلفة عن لهجتي الرجلين المتشاجرين: آه ياعيني، عيني أُقتُلِعَتْ، لم أعُد أرى بها.

انتفض ابنها الذي كان بجوارها صارخاً: أمي ، ماذا أصابك ؟ ماذا فعلتم أيها الهمجان السوقيان؟ أتظنان نفسيكما تجلسان في قطار للركاب أيها الوغدان؟

ترك الرجل الذي ألقى بالكتاب الرجل الآخر الذي كان يتشاجر معه واتجه نحو الرجل الثالث ابن السيدة العجوز التي أصيبت عينها وبدلاً من الاعتذار عما بدر منه، فعل شيئاً آخر، أمسك بتلابيبه صارخاً في وجهه، من هم السوقيون أيها السفيه؟

اسرعت مضيفة الطائرة نحو السيدة العجوز محاولة إسعافها وإبعادها عن مكان الشجار بعد أن سادت حالة من الهرج والمرج داخل الطائرة وقام كل الركاب من أماكنهم، بعضهم يحاول فض الاشتباك، والبعض الآخر انضم للاشتباك تعاطفاً مع السيدة العجوز، إلا أن المضيفة قد تلقت ضربة بالخطأ من قبضة الرجل ابن السيدة العجوز المصابة أسقطتها على الأرض، ما أثار حفيظة كابتن الطائرة وبحركة لا إرادية إندفع نحو المضيفة تاركاً مقعد القيادة، مما جعل الطائرة يختل توازنها وسارت تميل يميناً ويساراً، والركاب يترنحون ويتمايلون مع ميل الطائرة في كلا الاتجاهين، زادت

صرخات الجميع نساءً ورجالاً وأطفالاً، حتى شعروا بالطائرة تنجذب إلى الأرض بقوة كبيرة، انتبه كابتن الطائرة إلي أنه ترك مكان القيادة وأن الطائرة فقدت توازنها، فحاول العودة إلى مكانه لكنه لم يتمكن حيث أن الطائرة زاد تمايلها وزادت معها صرخات الركاب، هنا صرخ أحمد في صديقه عمر: ألم أقل لك إني أخاف من ركوب الطائرات، كنت أشعر بأننا سنموت هذه الميتة البشعة، سامحك الله ياصديقي ثم تلا الشهادتين، وفجأة ارتطمت الطائرة بالأرض، فتح عمر وأحمد أعينهما على صوت مضيفة الطائرة تقول: حمداً لله على سلامة الوصول، من فضلكم اربطوا أحزمة الأمان استعداداً للهبوط!

مينا وحسين

"مينا" شاب مسيحي في سن الثالثة والعشرين، له صديق واحد مقرب هو "حسين" الذي كان في نفس عمره، كان الاثنان زميلين في كل مراحل حياتهما الدراسية، ودائماً ما كانا يتجاوران في المقعد المدرسي، حتى أنهما أصبحا لا يفترقان أبداً لا في المدرسة ولا خارجها، حتى في المرحلة الجامعية رغم أن كل منهما التحق بكلية مختلفة عن الآخر حيث أن مينا دخل كلية الهندسة وحسين التحق بكلية الحاسبات والمعلومات إلا انهما ظلاصديقين وعلى اتصال ببعضهما البعض وكأنهما لم يفترقا .

جاءت ليلة عيد الميلاد المجيد، و كان "حسين" حريصاً على مشاركة صديقه "مينا" في كل مناسباته الدينية وكذلك يفعل "مينا" قال "حسين" لصديقه: انتظرني الليلة في تمام الساعة العاشرة مساءً سأمر عليك لنذهب سوياً إلى الكنيسة للاحتفال بعيد الميلاد المجيد كما اعتدنا أن نحتفي به سوياً كل عام .

شكر مينا صديقه على روحه الجميلة و أخبره بأنه سيكون بانتظاره في الموعد المحدد .

في تمام العاشرة مساءً كان مينا مرتدياً زياً جديداً استعداداً للذهاب إلى الكنيسة مع صديقه حسين احتفاءاً بالعيد، في بيت مينا الكل مستعد، الأب والأم وأخته التي تصغره بعامين.

قال مينا مهنئاً الجميع :

- كل سنة وأنت طيب يا بابا ، كل سنة وإنتِ طيبة ياماما ، كل سنة وإنتِ طيبة يا كريستينا
- الأب: كل سنة وأنت طيب يابني، عيد ميلاد مجيد عليك وعلى أختك، باركهما الرب ورعاكما.
- الأم: كل سنة وأنت طيب ياحبيبي، ما كل هذه الوجاهة؟! حفظك الله ورعاك يا بُني .
- كريستينا: كل سنة وأنتم طيبين، وأنا ياأمي ألا يعجبك فستان العيد الذي اشتريته؟
- الأم:طبعاً حبيبتي، انه غاية في الجمال، وأنتِ كالبدر المنير،كل سنة وانتِ وأخوكِ بكل خير.
- مينا (يهندم قميصه): أنا طول عمري وجيه ياأمي ليس في العيد فقط، أليس كذلك؟

- الأم (ضاحكةً): بالطبع يا نور عيني، طول عمرك أنيق، دقائق ساكمل ملابسي وأكون جاهزة لنذهب جميعاً للكنيسة لنصلي قداس العيد سوياً.
- مينا : لا أنا سأسبقكم ، سأذهب مع صديقي حسين، هو أخبرني أنه سيمر عليّ لنذهب سوياً إلى الكنيسة أنتم تعلمون أنه يحرص على مشاركتي العيد كل عام.

يدق جرس الباب ، يتوجه مينا إلى الباب قائلاً أكيد هذا حسين، دائماً مواعيده مضبوطة، يفتح الباب، إنه حسين بالفعل،

يرحب به مينا : اهلاً حسين

يتصافحان ويقبل بعضهما الآخر، يطلب منه مينا الدخول.

مينا: تفضل ياحسين

يدخل حسين بيت صديقه مطأطأً رأسه احتراماً لوالد صديقه ووالدته وأخته

قائلاً: مساء الخير

يرد عليه الجميع: مساء النور ياحسين ، تفضل

يتقدم إليهم مصافحاً: كل عام وانتم بخير.

الأب : وانت بخير يابني .

- الأم: اجلس يابني لأصنع لك مشروباً دافئاً فالجو شديد البرودة الليلة.

- حسين: لا يا خالتي، اشكرك، ليس هناك وقت فالساعة الآن العاشرة وخمس دقائق،

مينا: أرجأي المشروب والطعام لبعد العودة من الكنيسة ياأمي، فحسين سيتنال الافطار معنا بعد انتهاء القداس.

الأم: طبعا ياحبيبي وهل يحلو طعام العيد بدون حسين، أدام الله محبتكما

ثم توجه حديثها لحسين

الأم: كيف حال والدتك ياحسين؟

حسين: بخير يا خالتي الحمد لله، ترسل إليكِ السلام .

الأم: سلمها وسلمك الله ياحبيبي.

مينا: هيا إذن ياحسين سنتأخر هكذا.

حسين: هيا

الأب والأم: سلام يا أحبتي ، في رعاية الله

الأم: مينا.. انتظر حبيبي، خذ هذه

مينا: ماهذه ياأمي؟

الأم: أيقونة للسيدة العذراء، ابقها معك لتحرسك وترعاك.

مينا(ضاحكاً): ماذا ياأمي ؟ هل أنا مسافر إلى مكانٍ بعيد؟ أنا ذاهب للكنيسة لحضور قداس العيد؟ أهذه أول مرة؟!

الأم: اسمع كلامي يابُني، لن تخسر شيئاً، بركة أمنا العذراء معنا دائماً وليس في الأعياد فقط، فنحن نتبارك بها كل حين .

مينا: حسنٌ (يأخذ منها الأيقونة ويُقبلها) ثم يرتديها

مينا : سلام .

الأب: سلام يا ابني

يغادران الصديقان، يغلق الأب الباب خلفهما ويوجه حديثه لزوجته .

الأب: هيا اكملي ارتداء ملابسك يا أم مينا حتى لا نتأخر على حضور القداس .

الأم: حسنٌ.

وصل مينا وحسين الكنيسة، اصوات الترانيم تختلط بأصوات الدُفوف ممزوجاً برائحة البخور الذكية مع لهيب الشمع المشتعل أمام أيقونات صور القديسين، صنعت حالة روحانية رائعة .

جلس مينا وبجواره حسين في الصف الأول في صفوف الرجال، حيث يصطف المصلين في صفين منتظمين، صف من الرجال وآخر من النساء.

بدأ مينا يرتل مع المرتلين وحسين ينظر إليه مبتسماً مبهوراً مما يراه، كثيراً ما يحب حسين ترانيم المسيحيين وصلواتهم.

وبينما الجميع منسجم، وقد قاربت عقارب الساعة على الحادية عشر، فجأة انفجرت قنبلة شديدة الانفجار، دمرت المكان بمن فيه، تحولت أصوات المرنمين إلى صراخ وعويل، سقط مينا وحسين على الأرض، فقد كان كلاهما قريبين من مصدر الانفجار، ما أسفر عن بتر في ذراع وقدم مينا الأيمن، نظر بعينيه يتفحص المكان المدمَر يبحث وسط الجثث والأشلاء عن صديقه حسين، وأخيراً وقعت عينيه عليه وقد قذفته القنبلة بعيداً عنه ونظر وإذا بنصفه الأسفل مفقود، لكنه لازال يحرك رأسه ونصفه العلوي، كان يبحث عن نصفه الآخر، ليس من جسده ولكن من روحه، كان يبحث عن صديق عمره مينا، وبينما التقت أعينهما نظر كل منهما إلى الآخر نظرة أخيرة، رأي حسين أمه وهي توصيه بصديقه المسيحي قائلة: أوصيك خيراً بصديقك مينا ياحسين ياابني، فنبينا محمد عليه الصلاة والسلام أوصانا بهم خيراً، لو أن أبيك لازال على قيد الحياة، لسعدَ بك وبحبك للناس، فقد كان

رحمه الله حريصاً على مشاركة اخوتنا المسيحيين أعيادهم مثلما تفعل أنت بالضبط، أشعر وكأني أراه أمامي الآن، حقاً من أنجب لم يمُت .

مينا أيضاً كلمات أمه تتردد في آذانه: لا تنسى أن تحضر حسين معك لتناول الافطار معنا بعد القداس يامينا.

يقترب كلاهما بجسديهما، ويمسكان بيد بعضهما، تنسال دمعة من عين حسين، تلاحقها دمعة من عين مينا، تغمض العينين إلى الأبد .

بـِلا وطــن

اعتادت مريم ذات التسعة عشر ربيعاً الخروج من بيتها كل صباح في تمام السابعة والنصف، قاصدةً محل دراستها، حيث أنها في الفرقة الثانية في كلية الآداب جامعة القاهرة قسم اللغة العربية، وحيث أنها تقطن في منطقة شعبية، و لا تملك سيارة خاصة، فإنها تشق الطرقات الضيقة، والحواري والأزقة والمنعطفات حتى تصل إلى موقف السيارات الأجرة الذي يبعد عن مسكنها بحوالي خمس دقائق سيراً على الأقدام، يتكرر المشهد كل يوم، ترى بائعة الخضار على ناصية حارتهم تقوم برص بضاعتها المتواضعة مرددة عبارتها الشهيرة " صبحنا وصبح المُلك لله"، تلقي عليها مريم التحية الصباحية في تجهم: صباح الخير ياام احمد

- صباح النور يادكتورة، يجعل صباحك لبن حليب .

اعتادت بائعة الخضار أن تلقب مريم بهذا اللقب منذ أن كانت طالبة بالثانوية العامة،وحيث كان الجميع يتوسم في مريم النُبوغ توقعوا أن تلتحق بكلية الطب أو الصيدلة، لكن القدر كان له رأي آخر حيث لم يؤهلها مجموعها الذي حصلت عليه في الثانوية العامة سوى لدخول كلية الآداب.

تتمتم مريم أثناء استكمال سيرها "دكتورة!" دكتورة ماذا إذن؟ أهذه بلد تقدر مجهود أحد؟ لو كنا في بلد تقدر مجهود مواطنيها ما ضاع مجهودي في الثانوية العامة ، إيييييه حمداً لله على أية حال .

مريم دائماً ماقتة متذمرة؛ حيث لا يعجبها وطنها ولا جامعتها ولا دراستها ولا شارعها ولا بيتها، متمردة على كل أوضاعها اجتماعية كانت أو مادية، فهي ترى نفسها مظلومة في كل شيء، ودائماً ما تلقي باللوم على ظروفها وترثي لحالها وكأن الكون كله يعمل ضدها !

تكمل سيرها في امتعاض، تسمع صوت المذياع يصدر من المقهى الذي يبعد عن شارعها بشارعين يتغنى بصوت أم كلثوم: "ياصباح الخير ياللي معانا" مختلطاً بصوت زمجرة أبواب الدكاكين الصاج أثناء فتحها، تسرع الخطى متحاشيةً نظرات الجالسين على المقهى ومعاكساتهم التي تنم عن سخرية أكثر منها إعجاب، فمِشيتها التي تشبه مشية عسكري الدرك دائماً ماتثير سخريتهم، فضلاً عن نظارتها بعدستها "قعر الكوباية" التي تتقعر خلفهما عيناها فتبدوان أصغر كثيراً من حجمهما الطبيعي، كما أنها اعتادت أن تقصع شعرها برابطة شعر من الخلف على شكل كعكة صغيرة، بينما زيها دائماً عبارة عن بلوزة بأكمام طويلة مع تنورة طويلة ضيقة تحدث صوتاً عند فتح رجليها تأهباً لأخذ خطوة جديدة بخطواتها الواسعة، مما يثير

انتباه المارة وضحكاتهم، تصل أخيراً إلى موقف سيارات الأجرة، تتجه نحو الصف الذي تسمع فيه منادي السيارات ينادي "جامعة .. جامعة"

تدلف في أول سيارة اجرة تأخذ مكانها بجوار النافذة ، لطالما اختارت هذا المكان تحديداً حيث أنها تظل مثبتة عينيها على لافتات المحلات التي حفظتها من تكرار رؤيتها بشكل يومي، كما أنها وسيلة جيدة للهروب من اختلاطها بباقي الركاب وأحاديثهم التي لا تروق لها، تظل على هذا الحال حتى تصل إلى محطتها أمام باب الجامعة، تنزل من السيارة متجهة نحو باب الجامعة، تقطع مسافة طويلة داخل الحرم الجامعي من دخولها من باب الجامعة وإلي وصولها إلى مبنى كليتها "كلية الآداب"، تصل دائماً في ميعادها المضبوط في تمام التاسعة، فهي تقدس الوقت، تصعد الدرج حتى الدور الثالث حيث قاعة محاضرات الفرقة الثانية.

اعتادت أن تجلس بجوار طالبتين تبدوان من هيئتهما أنهما ليستا مصريتين، وبرغم ذلك فهي لم تحاول معرفة من أي بلد هما، لا تعرف عنهما سوى الاسم الاول لكل منهما (جومانة و حكيمة) لم تحاول يوماً أن تفتح معهما حديثاً وإن هما حاولتا ذلك لا تعطيهما فرصة.

أخرجت دفتر محاضراتها، ثواني ودخل الدكتور يونس محاضر مادة التربية الوطنية، شاب في الأربعين من عمره، يرتدي بزة باللون البيج الفاتح، وقميصاً باللون البني، دون رابطة عنق، ألقى التحية الصباحية على الطلاب، ثم بدأ في إخراج أدواته المخصصة للشرح، كتب عنوان الدرس في أعلى منتصف السبورة الاليكترونية (البروجيكتور) بخطٍ كبير "الوطن"

تمتمت مريم بصوت لم يسمعه سوى زميلتيها المجاورتين لها (جومانة وحكيمة): من أولها وطن ووطنية ومواطنة وشعارات كاذبة لا تمت للواقع بصلة .!

شرع الدكتور يونس في إلقاء محاضرته مستهلاً حديثه بسؤال: ماذا تعني كلمة وطن؟ ثم استطرد قائلاً: من يعرف الاجابة فليتفضل برفع يده .

رفعت مريم يدها وسط عدد من الطلاب المعدودين الذين قاموا برفع أيديهم للإجابة عن السؤال، والذين يبدو أنهم تفاجأوا بالسؤال .

أشار المحاضر لمريم: قائلاً تفضلي، ولكن قبل أن تجيبي عرفينا بنفسك، نهضت مريم من على مقعدها بالمدرج قائلة: اسمي مريم، للأسف مصرية، اندهش دكتور يونس وباقي زملائها وزميلاتها بالمدرج وصارت همهمة في القاعة تشي بعدم الارتياح من تصريح زميلتهم بأنها تأسف لمصريتها، طلب المعلم الهدوء من الطلبة.

ثم عاد وسألها: لماذا تأسفين على كونك مصرية يامريم؟ ألديك سبب مقنع لذلك؟ أجابت مريم: بالطبع، لدىّ عدة أسباب وليس سبب واحد، قال: أطلعينا من فضلك على هذه الأسباب. شرعت مريم في عرض أسبابها قائلةً: نحن نعيش في بلد ظالم يادكتور، البلد الذي لا يعرف كيف يجعل مواطنيه يعيشون حياة رغدة لا يستحق الانتماء، البلد الذي يفرق بين ابن الوزير وابن الخفير لا يستحق الولاء، البلد الذي لايقدر عقلية أبنائه من النبغاء والعلماء ويصبح عامل طرد لكل مفكريه لا يستحق الحب، أعلنها صريحةً أمام الجميع أنا لا أحب مصر ولا أسميها وطني وأتمنى أن يأتي اليوم الذي أستطيع فيه أن أهجرها إلى بلدٍ آخر أكثر رقياً وتحضراً، بلد يضمن لي أبسط حقوقي التي افتقدها في بلدي.

سألها دكتور يونس هل أنهيتِ كلامك؟ قالت: نعم ، أشار لها بالجلوس قائلاً: فلتتفضلي، ثم استرسل قائلاً: جاء دوري لأرد عليكِ.

قبل أن يرد عليها رفعت جومانة يدها مستسمحة المُحاضر أن يعطيها الفرصة لترد هي على زميلتها، ألحت في طلبها حتى أذن لها المُحاضر بالرد .

تحركت جومانة من مكانها متجهة ناحية المنصة حيث كان المُحاضر واقفاً: اسمح لي دكتور، تناولت منه مكبر الصوت: أختي العزيزة مريم، اسمحي لي أن أخبركِ سراً مخفياً عنكِ، حقيقة تجهلينها مع أنها واضحة

أمامك كالشمس، أنا جومانة من سوريا، انتبه الطلاب وتعجبوا أن طالبة سورية هي التي سترد على زميلتها المصرية!

استرسلت جومانة في حديثها قائلةً: لو كنتِ جربتِ الحرمان من وطنك مجبورة لأدركتِ معنى الوطن، لو كنتِ فقدتِ نصف عائلتك وأنتِ تهربين من وطنك لاجئة في بدان آخرى لعرفتِ معنى الوطن، لو كنتِ قاسيتِ ما قاسيته أنا وكل أهل وطني في الحرب والدمار والقتل والتهجير لكنتِ قَبَّلتِ تراب بلدك كل يوم، يكفي أنكِ تعيشين هنا بين أهلك وأصدقائك في أمان، لا تعرفين الخوف ولا الذل ولا القهر ولا الفقد، ظلت جومانة تسهب في حديثها عن معاناتها والدموع تسيل على خديها ما جعل كل من في القاعة يتأثرون ويبكون بمن فيهم مريم.

هنا انضمت حكيمة إلى جومانة وأكدت حديث زميلتها، تناولت منها مكبر الصوت وقالت باكيةً: نعم صديقتي جومانة أنتِ محقة في كل ما قلتِه، لا يعرف معنى الوطن سوى من حُرم منه مثلي ومثلك، أنا اسمي حكيمة لاجئة عراقية، اضطررنا أنا وعائلتي أن نهرب من العراق بلدنا الحبيب خوفاً من بطش الدواعش الذين لايرحمون أحداً صغيراً كان أو كبيراً، تركنا بلادنا مجبرين، تركنا هناك بيوتنا ومدارسنا وأصدقاءنا، تركنا ذكرياتنا، لم نأخذ شيئاً معنا سوى الأوجاع والحرمان.

وما إن انتهت حكيمة وجومانة من سرد معاناتهما القاسية حتى صفق لهما كل الطلاب والمُحاضر تصفيقاً حاراً، وتناول منهما مكبر الصوت قائلاً: لا لا بتئسا يا اختاي أنتما هنا بين أهليكما وأصدقائكما، أنتما في وطنكما الثاني، فمِصر حاضنة لكل أشقائنا العرب، ثم وجه حديثه لمريم قائلاً: أظن يامريم لن تجدي أبلغ من رد زميلتيكِ جومانة وحكيمة على كلامك عن كرهك لوطنك! أنا شخصياً مهما بحثت عن كلمات أرد بها عليكِ لا يمكن أن أعثر على كلمات مؤثرة كالتي افاض بها زميلتاك، أتمنى أن تكوني قد استوعبتِ الدرس جيداً وفهمتِ معنى الوطن. فالوطن يا مريم ليس مجرد بلد، الوطن هو الأرض، والعِرض، والدِفء، والستر، والأمان ، والاحتواء .

طأطأت مريم رأسها خجلاً، ثم رفعت رأسها والدموع تنهمر من عينيها وطلبت من معلمها أن يسمح لها بالصعود إلى المنصة وإلقاء كلمة أخيرة.

سمح لها معلمها: بالطبع، فلتتفضلي.

اتجهت مريم ناحية مكبر الصوت وتناولته من المُحاضر وقالت جملتين مقتضبتين: أعتذر لكم جميعاً وأعتذر لوطني الحبيب عما بدر مني من إساءة، من لا يعرف قيمة وطنه لا يستحقه، ثم استأذنت في الخروج من القاعة

منذ تلك اللحظة تبدلت مريم تماماً، لقد عرفت قيمة الوطن، أدركت أن الوطن ليس مجرد بلد، الوطن هو الأرض، والعِرض، والدِفء، والستر، والأمان، والاحتواء مثلما أخبرها المحاضر بالجامعة .

ظلت كلماته تلك تتردد في مخيلتها طيلة طريق عودتها إلى بيتها، فمن شدة تأثرها لم تقدر أن تكمل باقي يومها الدراسي وآثرت الانفراد بنفسها وإعادة حساباتها في طريقة تفكيرها وتعاطيها مع الأمور التي كانت تنظر إليها نظرة سطحية ليس فيها أي عُمق. قررت أن تتخلى عن دور الضحية الذي تعيشه منذ سنين، وتعمل جاهدةً على تحقيق ذاتها دون ان تلوم الظروف و أحوال البلد.

لم تنم هذه الليلة، ظلت طوال الليل تفكر في كلام زميلتيها، شعرت أن غمامة انقشعت مؤخراً من على عينيها وكأن جومانة وحكيمة هما المصباح الذي أرسله الله لها كي ينير لها الطريق، حين لاح الفجر استيقظت بكل نشاط على غير عادتها، ارتدت ملابسها، استعاضت عن تنورتها الطويلة الضيقة ببنطال جينز، تخلت عن رابطة شعرها الناعم فأطلقت له العنان، حين نزلت الشارع تنفست بعمق وكأنها صار لها زمن لم تتنفس ، سارت في الشارع بخطىً واثقة وابتسامة ساحرة، ألقت التحية على بائعة الخضار: صباح الخير يا أم أحمد، ردت عليها البائعة في ريب: صباح النور. فلم

تعرفها لأنها قد خلعت نظارتها واستعاضت عنها بعدسات لاصقة، ابتسمت مريم: ألم تكملي جملتك الجميلة؟ أين كلمة دكتورة؟ لم تصدق عينيها وقامت بدعكهما غير مصدقةً: أنتِ دكتورة مريم؟ ضحكت مريم: نعم يا أم أحمد ، أنا هي .

قالت البائعة متعجبةً : سبحان مغير الاحوال

تركتها مريم وأكملت سيرها وهي تسمع البائعة تكمل جملتها المعتادة: يجعل صباحك لبن حليب يادكتورة .

ردت مريم على أم أحمد في سرها: يوماً ما سأصبح دكتورة عن جد يا أم أحمد، سأذاكر وجتهد لأصبح دكتورة جامعية، وحينها تقوليها لي عن استحقاق وليس مجاملةً .

مرت على المقهى الذي يبعد عن بيتها بشارعين، سمعت صوت أم كلثوم الصادر من راديو المقهى يقول: "ياصباح الخير ياللي معانا" رددت في نفسها" ياللي معانا" .

سارت في الطرقات الضيقة والحواري والأز قة والمنعطفات حتى وصلت إلى موقف سيارات الأجرة، استقلت السيارة التي ينادي بها التباع: (جامعة .. جامعة)، ركبت في مكانها المفضل بجوار النافذة ليس تجنباً

مخالطة الناس مثل المرات السابقة ولكن لتتأمل في مستقبلها الواعد الذي تراه من خلال نافذة السيارة .

جاءت محطتها ونزلت من السيارة، اتجهت ناحية باب الجامعة، ولجت الحرم الجامعي، سارت في طريقها الطويل حتى وصلت إلى باب كليتها "كلية الاداب" صعدت على درج السلم حتى وصلت للدور الثالث، حيث قاعة محاضرات الفرقة الثانية، كانت الساعة التاسعة تماماً، لازالت تقدس الوقت، أخرجت دفتر محاضراتها وكتبت في أعلى منتصف الصفحة بخطٍ عريض "حـــب الوطـــن".

المغني الأخرس

أُجريت له عملية جراحية وأُصيب بكسل في إحدى عينيه، واضطراب جسيم في قدرته على الكلام والمحادثة، الأمر الذي اضطر عائلته لإخضاعه لجلسات التخاطب، التي لم تُجدِ نفعاً معه .

مظهره بنظارته الكبيرة نسبياً وعينيه الكسلانتين وتلعثمه الزائد عن الحد كان مدعاةً للسخرية الدائمة منه في فصله الدراسي، كان يخشى التجاوب مع زملائه أو الاحتكاك بهم خوفاً من بطشهم وسخريتهم فامتنع عن الكلام في المدرسة نهائياً، وأصابه الخرس الاجتماعي.

آدم ابن العاشرة لم يكن مختلفاً فحسب، بل كان طفلاً موهوباً وذكياً، صحيح أنهم نجحوا أن يخرسوه في المدرسة لأنه يتلعثم، لكن هذا لم يوقفه عن الغناء في فريق الكورال التابع للكنيسة ، وبعدها بدأت موهبته في العزف على الجيتار تظهر وتزهر كورود الربيع، فاستمر بالعزف في غرفته وكل جمهوره ألعابه في حجرته، كان خوفه من التلعثم يتلاشى حين يغني، كان الغناء ينسيه أنه يتلعثم.

والد آدم كان معلماً للرسم ولما علم بحب ابنه للغناء، قرر استثمار تلك الهواية وشجّعه وأهداه أسطوانات كاظم الساهر الذي كان آدم يعشق غناءه ويندمج معه في الغناء بشكل عجيب.

بهرت آدم قدرة كاظم الساهر على نطق الكلمات بهذه السلاسة علي الرغم من أن معظم أغنياته بالعربية الفصحى، فبات كاظم مثله الأعلى وقدوته في الغناء، حفظ كل أغانيه عن ظهر قلب ودون مساعدة، وبمرور الوقت اكتشف آدم أنه لم يعد يتلعثم بالأخص وهو يغني، وأدرك أن ممارسة الغناء والعزف وكتابة الأغاني تهدم جدران الخوف من التلعثم بداخله، الأمر الذي شجّعه للانضمام للمسارح وتقديم فنه بالشكل الذي أحبه.

ولأنه متابع جيد لبرامج اكتشاف المواهب الغنائية على الشاشات الفضائية، أحس أن نقطة انطلاقه ستكون في أحد هذه البرامج، وبالفعل تقدم آدم إلى برنامج "the voice kids"

كانت المفاجأة لحسن حظ آدم أن المطرب "كاظم الساهر" والذي يلقب ب "القيصر" كان أحد أعضاء لجنة التحكيم هذا العام، الأمر الذي جعل آدم يتحمس أكثر، وازدادت ثقته بنفسه.

حين علم المطرب "كاظم الساهر" بمشكلة "آدم" الصحية، كما علم أنه رغم هذه المشكلة لديه موهبة رائعة في الغناءجعلته يتغلب على تلعثمه، أُعجب بإصراره على إثبات موهبته، وحرص على تشجيعه والوقوف بجانبه، وضمه لفريقه الخاص بتدريب المواهب الصغيرة من المتسابقين بالبرنامج.

كان آدم يتقدم بشكل ملحوظ، وكان يتخطى مراحل البرنامج من مرحلة صعبة إلى مرحلة أصعب، حتى اجتاز كل المراحل بنجاح كبير أبهر كل أعضاء لجنة الحكام والجمهور المتابعين للبرنامج.

وصل آدم أخيراً للمرحلة النهائية من البرنامج والتي ستحدد مصيره إن كان سيحصل على لقب "موهبة الموسم" أم لا، وبرغم أن المنافسة بينه وبين المتسابق الآخر أمامه كانت صعبة إلا إنه اجتازها أيضاً بنجاح وحصل على اللقب.

انهالت العروض الفنية على آدم بشكل كبير بعد فوزه بلقب "the voice kids" وبدأت تتهافت عليه شركات إنتاج الأغاني، وتم صدور أول ألبوم غنائي له بعنوان "مفيش مستحيل".

لاقى الألبوم نجاحاً ورواجاً لم يسبق لهما مثيل في عالم الغناء، ويُتنبأ لآدم بأنه سيصبح مطرباً عالمياً في المستقبل القريب.

صرح "آدم" أثناء مؤتمر التوعية عن التلعثم الذي عُقد عبر المنظمة الدولية للتلعثم تحت اسم "قصة نجاح" بـ"أن تكون طفلاً مختلفاً عن الأطفال الآخرين في صغرك قد يبدو غريباً، ولكنه هو نفس الشيء الذي سيكون سبباً في تميزك عن الجميع حين تكبر".

خرَّاط البنات

تقول أمي لي دائماً أن خراط البنات أخذ كل جمال البنات ووضعه في، كانت تغني وهي تضفر لي شعري الأشقر أغنية جميلة لطالما أحببتُ سماعها بصوتها الحنون : "ارفعي رقبتك لا يقولوا عوجه محلا جبينك تحت ضي التوكه .. ارفعي رقبتك لا يقولوا قَنصه (مائلة الرقبة) محلا جبينك تحت ضي القُصه" ثم تعاود جملتها الشهيرة : خراط البنات أخذ كل جمال البنات ووضعه فيكي."

كنت أتسائل من هو خراط البنات ذلك الذي خرطني وخرط كل البنات ولكنه ميزني عنهن؟ خلته رجلاً ضخماً طويل القامة مفتول العضلات يشبه المارد، لكنه ذو ابتسامة لطيفة وملامح هادئة، خلته يضع مكونات صُنْع البنات في ماكينة خرط البنات من ناحية لتخرج بنات جيدة الصُنع من الناحية الأخرى، و إن كان مزاجه رائقاً وأراد صُنع بنت جميلة وضع قطعة سكر وقطعة فراولة ودلو حليب وتفاحتين وعنبتين وعسل نحل وعود زان في عجَّان الخرط فتخرج بنت فائقة الجمال من الناحية المقابلة، وإن كان سيء المزاج وضع دلو عسل أسود وتمرتين جافتين وقطعتي

تين رمادي وقليل من مسحوقي الكاكاو والقهوة وحزمة من القصب الجاف فتخرج بنت قليلة الجمال من الناحية الأخرى، ويبدو أنه حين خرطني كان مزاجه رائقاً جداً . يا لحُسن حظي وتعاسة حظ باقي البنات !

استيقظتُ هذا الصباح متجهةً نحو مرآتي لأتفرس في وجهي الجميل كعادتي كل يوم، لكني ذُهلت حين لم أرَ نفسي في المرآة ! كل شيء بالغرفة معكوس في المرآة عدا صورتي ! سريري ، ودولاب ملابسي ، والأريكة والمقعد وحتى باب الغرفة ، كل شيء إلا أنا.

صرختُ و صرختُ وصرختُ، لكن يبدو أن لا أحد يسمعني، ركضتُ نحو الباب ، حاولتُ فتحه لكنه موصد ، طرقتُ عليه طرقات عديدة دون مجيب، عدتُ أصرخ بأعلى صوتي : أمي .. أمي، فلم تجيبني أمي ، لما لا يسمعني أحد؟ لماذا لا يجيبني أحد؟ أسندتُ ظهري على الباب ونظرتُ بالغرفة وإذا بي ممددةٌ على سريري ! كيف؟ تحركتُ ناحية السرير بخطوات مترددة، دققتُ النظر لأتأكد من الجسد المُسجى على السرير ، إنه لي بالفعل، مددتُ يدي المرتعشة أتحسس ذاك الجسد ، فوجدته بارداً جداً كلوحٍ من الثلج!

ملكة العرب

لفت انتباهها إعلان عن مسابقة فريدة من نوعها بينما كانت تتصفح صفحتها الشخصية على أحد مواقع التواصل الاجتماعي (فيس بوك) ، الإعلان كان بعنوان "ملكة العرب" مرفقاً بصورة مرسومة لفتاة رشيقة، جميلة الملامح يزين وجهها تاج كتلك التيجان التي توضع على رؤوس الفتيات اللاتي تفزن بلقب "ملكة الجمال" .

أخذها الفضول لقراءة تفاصيل المسابقة، ضغطت على رابط مرفق بالإعلان بعد أن قرأت عبارة: "لمعرفة الشروط والتفاصيل اضغطي هنا" .

قرأت الشروط كاملةً كانت كالتالي:

١- مؤهل دراسي عالي

٢- إجادة لغة ثانية بجانب العربية

٣- لديها فكرة مبتكرة أو مشروع خدمي يفيد المجتمع العربي

٤- أن تتمتع المتسابقة بقدر من الثقافة

٥- لبقة و تجيد مهارة التحدث

٦- تتمتع بالأناقة وحسن المظهر

٧- الطول لا يقل عن ١٦٠ سم مع وزن مناسب للطول

وعلى الراغبات فى الاشتراك من مصر والدول العربيه وتتوافر فيهن الشروط:

ارسال الاسم ثلاثى و السن و الطول و الوزن والمؤهل الدراسى واللغه و العنوان ورقم التليفون على رسائل الصفحه مع ارسال ثلاث صور حديثه لها.

التصفيات الأولى في التاسع من مارس المقبل بالقاهره لمقابلة لجنة التحكيم بفندق بيراميزا الدقى - الساعه العاشرة صباحا

حفل الختام و اختيار ملكة العرب بفندق رمسيس هيلتون في الرابع والعشرين من مارس.(بالتوفيق لكل المتسابقات).

تحمست جداً للفكرة وقررت الاشتراك فوراً في المسابقة، حيث أنها على قدر عال من الجمال ، رشيقة، مثقفة، لبقة، تعرف لغتين أخريين وهما الانجليزية و الفرنسية، بالإضافة إلى اللغة الأم (اللغة العربية). كما أنها لديها فكرة مشروع خدمي تتمنى تطبيقها على أرض الواقع وهي "مساعدة اللاجئات السوريات بتوفير مسكن وفرص عمل لهن" .

كتبت البيانات، وأرفقت معها ثلاث صور شخصية مختلفة لها.

ضغطت زر الإرسال وانتظرت الرد بالموافقة لأنها كانت تعلم يقيناً أنها ستُقبل في المسابقة بل وستفوز بلقلب "ملكة العرب" .

انتظرت ساعة كاملة لم يأتها الرد، خلال تلك الساعة تفحصت صندوق الرسائل الواردة ست مرات مرة كل عشر دقائق، كانت ساعة هاتفها تشير إلى الثامنة مساءً، ملت الانتظار غير أن عينيها أصابها ألم وإحمرار جراء النظر طويلاً لشاشة هاتفها المحمول، فتمددت على الأريكة وأغمضت جفنيها لإراحتهما .

ما بين الغفو والصحو رأت نفسها أمام لجنة التحكيم والتي كانت مكونة عن ثلاثة أشخاص من بينهم امرأتان تعمل إحداهن خبيرة تجميل والأخرى طبيبة أمراض جلدية، يتوسطهن شخص مشهور يعمل بمجال الإعلام.

كواحدة من بين سبعين فتاة تقدمن للمسابقة سيتم تصفيتهن إلى عشرين فتاة بالتدريج حتى يصلن إلى التصفيات النهائية ويتم الاختيار من بينهن من تستحق لقب "ملكة العرب" .

بدأوا في اختبارها بتوجيه مجموعة من الأسئلة مابين ثقافية واجتماعية وصحية وسياسية، فكانت تجيب علي كل الأسئلة بمنتهى اللباقة والثقة

العالية بالنفس، مما أبهر لجنة التحكيم ، حتى في اختبار اتقانها للغتين الانجليزية والفرنسية اجتازته بنجاحٍ ساحق، ما أهلها للوصول إلى مرحلة التصفيات النهائية.

في مرحلة التصفيات النهائية كانت المنافسة بينها وبين باقي المتسابقات اللاتي وصارت أعدادهن إلى عشرين متسابقة فقط بعد خروج باقي المتسابقات من المرحلة الأولى نظراً لاخفاقهن في الاختبارات السابقة.

في تلك المرحلة ازدادت أسئلة الاختبارات صعوبة، وزادت معها المنافسة وأصبحت أكثر شراسة من المرحلة السابقة، فكل متسابقة من المتسابقات الآن تشحذ نفسها بكل أسلحة التحدي للوصول إلى الهدف الذي أتين من أجله.

فكل منهن أتت وحلمها الأوحد هو الحصول على لقب "ملكة العرب"

اصطفت المتسابقات في صفين متظمين في انتظار إعلان النتيجة النهائية للمسابقة والكشف عن صاحبة الحظ في الفوز باللقب، الجميع قلوبهن ترتجف خوفاً ومع ذلك ترتسم على وجوههن ابتسامات عريضة تخفين خلفها قلقهن.

المتسابقة "مروة الأنصاري" هكذا نادت منسقة الحفل في المكبر، معقبة بعبارة "مبروك ملكة جمال العرب ٢٠١٨ " لم تصدق أذنيها حين نُطق اسمها فصرخت ابتهاجاً، وتقدمت لتلبس التاج وسط تصفيق حار من الحضور، مع تشغيل موسيقى صاخبة مناسبة للاحتفال و .....

هنا دقت نغمة هاتفها المحمول معلنةً عن وصول رسالة عبر برنامج الرسائل بالفيس بوك، قفزت من على الأريكة، اختطفت هاتفها بسرعة وفتحت الرسالة لتقرأ الرد على رسالتها للمسابقة ..

نأسف لعدم قبولِك بالمسابقة لعدم توافر شرط من شروطها وهو السن، صدمت مروة من رفضها الذي لم تكن تتوقعه، فرجعت للشروط مرة أخرى وجدت أن شرط السن ألا يتجاوز عمر المتسابقة ثلاثين عاماً، هذا الشرط الذي لم تلحظه قبل الاشتراك في المسابقة، تذكرت في الحال أنها تخطت الثلاثين بستة أعوام!

مذكرات تلميذة

لم تكن تبلغ قد بلغت الرابعة عشر بعد حين التقته كان شاباً وسيماً، أبيض البشرة، فارع الطول، نحيف القوام، يملك من حس الفكاهة ما جعلها تنجذب إليه، وحيث أنه قد أنهى للتو دراسته الجامعية، وحيث أنه حين رآها تشبث قلبه بطالبة الثانوي الجميلة، فقد افتعل حيلة ذكية للتقرب منها وتمكنه من رؤيتها بشكل يومي ،عرض على أبيها مساعدتها في مذاكرة دروسها وخاصة في مادة تخصصه في إحدى اللغات الأجنبية، وافق أبوها على أن يتم ذلك في حضوره.

فرح الشاب العاشق بموافقة الأب وقاسمته الفرحة فتاته العاشقه" ، وبرغم الصمت في الحصة الأولى من دروس العاشقين إلا أن أعينهما قالت كل شيء.

لم يدم الصمت طويلاً؛ ففي الحصة الثانية تجرأ الشاب واعترف لتلميذته بحبه لها، فما كان منها إلا أن ارتعشت خجلاً وسعادةً، طلب منها سماع ردها والذي تمنى في قرارة نفسه أن يكون بالإيجاب والقبول ،إلا أنها آثرت الصمت، ظل في كل مرة من المرات التالية يسألها نفس السؤال الذي

طال انتظار إجابته إلى أن جاءه الرد أخيراً بأن أطرقت برأسها في خجل عُذري تتمتع به الفتيات في تلك السن .

فهم الرد وتأكد من أنها تبادله نفس الشعور، فكانت سعادته عارمة بردّها الذي أثلج قلبه الملتهب عشقاً.

كتب لها أول خطاب غرامي ووضعه لها في كراسة الدرس، تلفتت حولها خوفاً من أن يراه أحد وهو يدس لها خطابه بين صفحات كراستها وحين اطمأنت أن أحداً لم يره أمسكت بكراستها واحتضنتها كأنها تخبيء كلمات حبيبها بين ضلوعها سراً لا يعرفه سواهما حتى لا يفسد أحد عليهما إحساسهما الجميل بالحب، بعد إنتهاء الحصة تسللت في هدوء إلى غرفتها وأغلقت الباب خلفها من الداخل وبدأت في قراءة أول خطابات حبيبها لها بل أول الخطابات الغرامية التي أتتها على الإطلاق، ثمة صور، كلمات، مواقف لا تنمحي من الذاكرة أبداً وخاصة في بدايات الحب، كالنظرة الأولى، الاعتراف الأول ، اللمسة الأولى، القبلة الأولى، الحضن الأول، وكذا الخطاب الأول. والسر هنا يكمن في أن للأشياء البِكر لذة من نوع آخر.

قرأت الخطاب مرات ومرات حتى حفظته كما تحفظ دروسها، ثم قامت بتمزيقه إرباً وألقت به في بالوعة حمام منزلهم خشية أن يعرف بأمرهما أحد أفراد أسرتها.

كتبت له الرد في ورقة من ورقات كراستها ثم استعدت للدرس، ناولته الكراسة بحجة تصحيح الواجب قرأ ما كتبته له، فارتسمت على شفتيه ابتسامة عريضة سرعان ما تراجع عنها حتى لا يلحظه أحد. أحبت دروسه وهو أيضاً، كانا ينتظران موعد لقائهما بصبرٍ بالغ، في كل مرة كان يكتب لها خطاباً كانت تتناوله منه في سرية وتقوم بدسه في كم قميصها وتناوله الرد على خطابه السابق بنفس السرية.

مرت الأيام والسنون حتى وصلت إلى السنة النهائية في المرحلة الثانوية وقبل انتهاء النصف الأول من العام الدراسي جاءه سفر مفاجيء للعمل في مدينة أسوان، حزنا لفراقهما لكنهما ظلا على اتصال بعد سفره، كانا يرسلان لبعضهما خطاباتهما عن طريق مكتب البريد حيث لم تكن قد اُختُرِعت رسائل البريد الإليكتروني آنذاك، فالرسائل التي لا تستغرق لحظة واحدة في إيصالها الآن كانت تستغرق عدة أسابيع قد تصل إلى شهر كامل، وفي أحسن الأحوال إذا تم إرسالها بالبريد السريع كانت تستغرق من خمسة

أيام إلى أسبوع لذا كانت الرسائل طعمها أشهى، فانتظار ساعي البريد يأتينا بخطاب الحبيب يضفي على حالة الحب للعاشقين مذاقاً أروع

كان يعمل بجدٍ واجتهاد، وكان شغله الشاغل أن يجمع أكبر قدر من المال حتى حين يعود إلى محبوبته يمكنه أن يطلب يدها من أبيها وخاصةً أنها أصبحت على أعتاب دخول الجامعة، وبدأ الخُطاب يتسابقون في طرق باب بيت أبيها طلباً للزواج بها.

عاد بعد حوالي شهرين متلهفاً لرؤيتها وهي كذلك، أخبرها في آخر خطاباته لها بموعد مجيئه.

أول مكان ساقته إليه قدماه لزيارته بعد عودته من أسوان هو بيت محبوبته، استقبله كل من في البيت استقبالاً حافلاً حيث أن كل أفراد الأسرة يحبونه ويعتبرونه فرداً منهم.

اندهش لأنه لم ير وجه محبوبته بين الوجوه التي كانت في استقباله، فقد كان يتوقع أنها ستكون هي أول من يستقبله فور عودته، ساوره الشك وبدأ يجول ببصره في أرجاء المكان باحثاً عنها بعينيه دون أن يتجرأ ويسأل أحداً من أهل البيت عنها وعن سبب تغيبها.

فجأة خرجت من غرفتها وأقبلت نحوه لتصافحه وترحب بمجيئه، فقد استعدت لاستقباله بأبهى حُلة حيث ارتدت فستاناً جميلاً و كان شعرها انعم من الحرير، كما كانت للمرة الأولى قد مشطت شعرها بطريقة أنثوية بعد أن تخلت عن تسريحتها المعتادة كتلميذة و لازالت ترتسم على وجهها بعض من ملامح الطفولة. فور أن رآها ذُهلَ لجمالها وكأنه يراها لأول مرة، نهض من على مقعده متلهفاً لمصافحتها ناظراً في عينيها ولسان حاله يقول "وحشتيني" خجلت من نظرة عينيه المملوءة شوقاً وتلون خداها بلون التفاح الأحمر الذي قد جلب منه كمية من أسوان بجانب بعض المنتجات الغذائية الأخرى والمشهورة بها تلك المدينة .

بعد تناول الغداء معهم طلب من أبيها أن يحدثه على انفراد في أمرٍ هام، وافق أبوها و دخلا في غرفة الضيوف وأغلق الباب خلفهما، لم يتعجب الأب من طلب الشاب فقد كان يعلم بقلب الأب أنه يحب ابنته حباً بريئاً وكذا هي.

وافق الأب على طلب الشاب ولكن بشرطٍ واحدٍ؛ وهو أن ينتظرها حتى تكمل تعليمها الجامعي وتنتهي تماماً من دراستها مع وعد منه بأنها لن تكون لغيره، وبرغم من صعوبة الشرط على الشاب العاشق إلا أنه لم يكن

أمامه سوى الموافقة على شرط الأب والانتظار أربع سنوات أخرى إضافة إلى السنوات الثلاثة الماضية التي مرت على حبه لها.

وبعد أن أدى خدمته العسكرية جاءه خبر تعيينه مدرساً بإحدى المدارس الحكومية في محافظة الفيوم، سافر لاستلام عمله الجديد، وقد حصل على سكن مناسب له وبعض من زملائه المغتربين مثله. لم تعد الخطابات تروي ظمأه ففكر في تركيب هاتف أرضي في الشقة التي كان يقطن بها مع زملائه حتى يمكنه مهاتفة حبيبته حين يشتاق لسماع صوتها، ولكن كانت المشكلة في أنها لا تملك هاتفاً في بيتها كي يهاتفها، فأعطاها رقم هاتفه وطلب منها أن تهاتفه هي، وبالفعل كانت تهاتفه من سنترال بلدتهم، حيث لم تكن الهواتف المحمولة قد اخترعت بعد، كانت تكتب رقم الهاتف في وريقة وتعطيه لموظف السنترال فيطلب لها الرقم ويطلب منها أن تدخل إحدى الكبائن الثلاث الموجودة في بهو السنترال. وحينها لم تكن تلك الطريقة آمنه بما يكفي حيث أنه كان من السهل على موظف السنترال التجسس على المكالمة بعدم وضع السماعة الأخرى بعد طلب الرقم لها فقد لجأت إلى الطريقة الأحدث وهي طريقة "العملات" حيث أنه بذات السنترال كانت توجد هواتف تعمل بطريقة وضع العملة في المكان المخصص لها ثم طلب الرقم المطلوب مهاتفته، وكانت كل عملة لها

عدد من الدقائق محدد أقلهم العشرة قروش وأكبرهم الخمسة وعشرين قرشاً، فالعشرة قروش تعطي دقيقتين والخمسة وعشرون قرشاً تعطي خمس دقائق . كانت معاناة البحث عن إيجاد عملة معدنية والحصول عليها ليس بالأمر الهين ومع ذلك كان لتلك المكالمات طعم آخر.

حتى تطورت فيما بعد طرق الاتصال وظهرت هواتف "الكروت" والتي كانت متوفرة في بعض الشوارع في المدن والمحافظات، وكان أقلهم الكارت ذي الخمسة جنيهات والذي كان يعطي عدداً من الدقائق لا بأس به تكفي لسماع صوت المحبين واطمئنان كل منهم على الآخر.

فترة الجامعة كانت من أهم وأصعب فترات حياة الطالبة، حيث كانت تلك الفترة ثرية بالأحداث والمستجدات التي لم تكن متوقعة على الإطلاق. في الواقع كانت فترة إختبار حقيقي لمدى صدق حب الطالبة لحبيبها ومدى جدية العلاقة بينهما، من ناحيتها كان الكثير من زملائها الطلاب يترددون إليها في محاولات عديدة للتقرب منها لما كانت تتمتع به من تلقائية وبساطة وبشاشة وجه جعل منها شخصية جذابة تلفت انتباه الجميع لها، حتى أن من بين هؤلاء الطلاب من كان أكثر غنىً من حبيبها لكن لم يغير ذلك من شعورها تجاهه. كانت مخلصةً لحبه في غيابه لفترات طويلة وهو خارج المحافظة في عمله.

على الجانب الآخر كان شديد الإخلاص لها حيث أنه في اغترابه كان كثير من العائلات تتمنى مصاهرته وكذلك البنات أنفسهن كن يتمنين ذلك لكن لم يكن في قلبه سواها .

مرت السنة الأولى لها في الجامعة بسلام دون حدوث شيء يلفت الانتباه، ولكن مع بداية العام الثاني حدث ما لم يكن في الحسبان، فقد تعرض أبوها لانتكاسة مهنية أفقدته عمله ومحل سكنه، ما جعل حياتهم الأسرية الهادئة المستقرة تنقلب رأساً على عقب. فاضطرت أسرتها للانتقال للعيش في سكن آخر مؤقت لحين تدبير أمورهم وفي ذلك الوقت لم يكن لهم عائل مادي غير الأب الذي أصابه مرض خطير- جراء ما حدث- جعله غير قادر على العمل في أي مكان آخر بعد فقدانه عمله الأساسي. ساءت الحالة النفسية لجميع أفراد الأسرة وحل الحزن والدموع محل السعادة والضحك، كان على الجميع سرعة التأقلم على الوضع الجديد، كما كان عليهم التعاون جميعاً والتفكير في بدائل للعيش واستكمال حياتهم التي لابد لها أن تستمر على أية حال.

فكرت الأم في العمل كبائعة للخضروات والفاكهة وهذا هو المتاح أمامها لأنها لا تملك شهادة دراسية تتيح لها العمل في مجال أفضل، في البداية اعترض أبناؤها على ذلك القرار وكان رأيهم أن هذا العمل البسيط لا يليق

بها لكنهم اضطروا في النهاية للموافقة حيث لم يكن أمامهم غير ذلك ، بل وحتى الأبناء أنفسهم بحث كل منهم عن عمل ولو بسيط يمكن من خلاله على الأقل الإنفاق على نفسه واستكمال تعليمه، فالجميع كانوا في مراحل تعليمية مختلفة ويحتاجون إلى المال لاستكمال دراستهم والمرور من تلك الأزمة بسلام .

حين علم أهل الحبيب بوضع أسرة خطيبة ابنهم وما طرأ عليها من تغيرات في وضعهم المادي وكذلك الاجتماعي طلبوا منه الابتعاد عنها وإلغاء أي اتفاق سابق بينه وبين أبيها، متذرعين في ذلك بأنها لم تعد العروس المناسبة له ولم يعد وضع عائلتها الجديد مناسب لوضعهم الاجتماعي المرموق – حسب زعمهم .

لم يستجب لرغبتهم بترك حبيبته بل تشاجر معهم بسبب إصرارهم على تركها وإصراره على التمسك بها.

ذهب إليها حزيناً شارد الذهن لا يدري ماذا يفعل أو ماذا يقول ، حين رأته فهمت ما كانت تتوقع حدوثه، وبرغم من أنه لم يستجب لرغبة أهله بتركها إلا أن كلامهم معه جعله يهتز من داخله، وحين شعرت هي بذلك طلبت منه الابتعاد والاستسلام لرغبة أهله، سافر عائداً إلى عمله دون أن

يؤكد لها رغبته في الاستمرار، أو حتى الخضوع لرغبة أهله، تركها والأفكار تمزق خلايا عقلها، والآلام تقطع نياط قلبها.

مر أسبوع وهي لا تعلم عنه شيئاً، لم تفكر بمهاتفته أو حتى مراسلته كما كانت تفعل من قبل، برغم شوقها إليه وبرغم رغبتها الداخلية بتمسكه بها إلا أن كرامتها وعزة نفسها منعاها من التواصل معه ومحاولة التأثير عليه.

مر أسبوع آخر واثنين وثلاثة بل وشهر وو اثنان وثلاثة حتى غاب ستة أشهر كاملة انقطعت فيها أخباره عنها لا تعرف إن كان نسيها أم لازال يذكرها، إن كان قد تركها أم إنه متمسك بها ويريدها، وان كانت طيلة مدة غيابه أجابت على كل تلك الأسئلة بداخلها إلا أنها كانت تشعر أو بالأجري كانت تتمنى أن تكون الإجابة عكس ما تشير إليه المؤشرات. أحضرت ورقة وقلماً وبدأت تكتب: "أفتقدك كثيراً، فبغيابك غاب جزء مني، غبتَ ولم تغب، غبتَ وتركتني شيئاً ناقصاً مبتوراً مشوهاً فقد جماله بل وفقد حياته" بكت وهي تكتب رسالتها لكنها لم تقو على إرسالها، طبقتها وأحرقتها و قلبها بين ضلوعها يحترق .

وبينما كانت قد فقدت الأمل برجوعه، واستسلمت للأمر الواقع وعقدت العزم على ألا تنتظره بعد اليوم، وبدأت تدرب نفسها فعلياً على نسيانه كما نسيها هو واستطاع أن يبتعد عنها كل هذا الوقت وإذ بها تراه أمامها غير مصدقةً أنه هو، حين رأته قادماً إليها من بعيد تسمرت مكانها وهو لازال يقترب أكثر فأكثر وابتسامته الجميلة المعتذرة ترتسم على وجهه الملهوف، ودون أن تدري جرت نحوه وارتمت في حضنه وظلت تبكي كما لم تبك من قبل.

ما أحلى الرجوعَ إليه .. هكذا صار إحساس الحبيبة بعد دموع وسهر ، وتفكير لا ينقطع في غياب حبيبها، وعتاب ولوم وانفعال بعد رجوعه، عندما سألته لائمةً عن سبب غيابه الطويل أجابها إنه كان يحتاج وقت للتفكير وأخذ القرار بعيداً عنها وعن أهله أيضاً حتى لا يقع تحت تأثير أي منهم في إتخاذ قراره، وإنه كان في حيرة كبيرة بين قلبه وعقله وبينها وبين أهله بينما قلبه هو من انتصر في النهاية، فلم يقو خلال كل تلك الفترة الماضية على نسيانها رغم محاولاته الفاشلة .

أخبرته عن حالها المذري في غيابه، فطلب منها السماح والنسيان، قال لها فلنطوي صفحة الماضي ولنبدأ صفحة جديدة، وعدها أن ينسيها تلك الفترة القاسية من حياتهما وأن يعوضها عن كل دمعة حزينة سقطت من

عينيها، وأنه لن يتخلى عنها وأنه سوف يفي بوعده لها مهما كلفه الأمر، صدقته لأن قلبها صدقه قبلها، وهي تثق بقلبها الذي لم يخذلها أبداً. وعد ووفى بوعده ، فمنذ تلك اللحظة وعلى مدار الثلاثة أعوام التالية ورغم الأزمة التي حلت بها هي وأسرتها لازالت قائمة إلا أن وجوده بجوارها خفف من وطأتها كثيراً، حتى مرت السنوات سريعاً.

يوم ظهور نتيجة اختبارات السنة النهائية لها في كلية الآداب (الليسانس) فاجأها مفاجأة رائعة لم تخطر لها ببال، فقد عادت من كليتها إلى منزلها فرحة بنجاحها لتجد حبيبها بانتظارها ولكنه ليس بمفرده هذه المرة كالمعتاد فقد أحضر معه أمه وإثنين من إخوته، ليس هذا فحسب بل الأروع والأكثر مفاجأة هو إحضاره شبكة الخطوبة كهدية نجاحها.! أبهرتها هديته الرقيقة بالرغم من أن هديته تلك أو شبكتها التي أحضرها لخطبتها لم تختارها معه بل هو من اختارها على ذوقه، وهي تحب ذوقه وتثق به لذلك لم تعترض، بالعكس فقد شعرت أنها أجمل هدية أتتها يوم نجاحها بل أجمل هدية تلقتها في حياتها، شخص آخر هو من اعترض على ذلك هو أبوها وكذلك أمها الذين اندهشا من طريقته الغريبة تلك في خطبة ابنتهما، متسائلين: كيف تحضر فجأة لخطبة ابنتنا دون إعلامنا بمجيئك؟ ثم كيف تحضر شبكتها دون أن تختارها هي بنفسها؟ إلا أن إجابته الرائعة كانت

كفيلة بأن تجعل قلب الأب يرق ويوافق دون تردد على الخطبة، فقد قال له: إني أحبها يا عمي، ولقد تحملت وصبرتُ سبعة أعوام كما طلبت مني يوم أن جئتك طالباً الزواج بها وهي آنذاك بعد صغيرة، انتظرت رغم صعوبة الانتظار، وصبرت رغم مرارة الصبر، فلماذا تريد أن تحرمني من سعادتي وسعادتها الآن؟ اخترت أنا بنفسي شبكتها لأني أحبها، أردت أن أفعل شيئاً مختلفاً لم يفعله غيري قبلي، أردت أن أعبر لها ولكما عن مدى شوقي للارتباط بها، وإني انتظرتُ هذه اللحظة طويلاً، أرجوك لا تحرمني هذه السعادة من فضلك، وأعدك أنك لن تندم ، نظر الأب إلى ابنته ليعرف ردها على كلام حبيبها، فرأى في عينيها الموافقة، فما كان منه إلا أن وافق ارضاءً لها، فطالما أحب ابنته وأراد لها السعادة والهناء .

همست له متسائلةً: كيف أقنعت أهلك بالمجيء معك؟ ابتسم هامساً: سأخبركِ لاحقاً.

تمت الخطبة في جو عائلي بسيط، غمرت الفرحة الحبيبين وأسرتيهما، أحبته أكثر من ذي قبل، وفي خلال ثلاثة أشهر تم الزواج، وانتقلت للعيش معه في محافظة الفيوم ، وبعد حوالي عامين من الزواج المبارك رُزقا بمولودهما الأول ثمرة حبهما، وبعد عامين آخرين رُزقا بالثمرة الثانية، وهكذا كلل الله قصة حبهما القوية بالزواج السعيد .

حياة أخرى

اكتشفتُ حين ظهرت نتيجة التحاليل الطبية لدمي أن مايسري في عروقي لم يكن دوماً دماً، ليس دماً على الإطلاق، إنها مادة أخرى ليست لها لزوجة الدم، ليست لها كرات حمراء وأخرى بيضاء ولا صفائح دموية أو بلازما، ليست فصيلة من الفصائل المعروفة لا هي

A أو B أو AB أوO

ليس سائلاً لونه أحمر قانٍ، ليس له لون بالأساس، إنه شفاف كالزجاج، كالبخار بلا لون، كالهواء بلا رائحة، والماء بلا طعم، شيئ جعلني حين سقطتُ من الطابق العاشر لم أرتطم بالأرض، بل صرتُ أُحمل على الأعناق، ظللت عالقة بين السماء والأرض مدة من الزمن لا أدري كم هي، أظن أنها لاتقاس بوحدة قياس من تلك المتعارف عليها عند كل البشر، شيئ جعلني في حالة تحليق ممتعة ،كنتُ روحاً خفيفة دون ثِقل الجسد، رأيت جسدي من فوق، تساءلتُ هل مِتُ ؟ أم إنا في حُلم؟ لماذا لم أعد أشعر بتلك الآلام التي كانت تمزق جسدي، وتؤرق نفسي وتغص قلبي؟! هل شفيتُ منها أم أن روحي قد انفصلت عن جسدي المعذب؟ وإن كانت

الإجابة الثانية هي الأصح فلماذا إذن لم تذهب روحي إلى مكان راحتها؟ لماذا أنا عالقةً هنا ؟ أين الجنة وأين الجحيم؟

لكنني مع كل ذلك لا أشعر بالحيرة أو الخوف، أو وحشة الانتظار، كل ما أشعر به الآن هو السلام والهدوء والاستسلام التام لتلك الراحة التي لم أستشعرها من قبل، وأتمنى لو كانت هي .. الراحة الأبدية .

ما لم تبُح به شهرزاد

أنا شهرزاد، أنا مَن بذلتُ نفسي لأفدي كل بنات جنسي، أنا التي سحرتُ شهريار بجمالي، وذكائي، وحكمتي، ودهائي. قبلتُ التحدي، تزوجته وأنا على يقين أن الموت سيكون مصيري الحتمي لو لم أبهره بما أخبئه في جراب الحاوي الذي بداخلي.

اخترعتُ له حيلة لم تخطر له ببال؛ الحكي، والأساطير والأهوال، فألَّفتُ القصص والحكايات؛ لأسردها له كل ليلة لاهيةً إياه عن فكرة قتلي بسيفه البتار، كنتُ أخشى تعطشه لدم النساء وخاصةً العذارى منهن، وظننتُ خطأً أن القتل ما هو إلا انتقام وإذلال، لكني تراجعتُ عن رأيي بعد الليلة الألف، حين اقتربتُ منه و اكتشفتُ أنه مسكين، يستحق الشفقة والعطف ، وإنه يداري قلة حيلته وراء نصل السكين، فأنستُ إلي ذاك المهيب، وسرعان ما غيرتُ كل الترتيب.

وبالفعل فقد نجحت خطتي الجديدة، جعلته يعشقني ويعشق حكاياتي، ويتلذذ ببوحي وانفعالاتي، كنتُ كلما أتى موعد الحكي والبوح، أجده سابقاً مترقباً منتظراً، متلهفاً، هو أراد قتلي بسيفه، وأنا أردتُ إحياءه

بحكاياتي، كان كلما ازداد تشوقه لمعرفة باقي الحكاية، أنتظرُ حتى يلوح الصباح لأسكتُ عن الكلام المُباح، لنبدأ سوياً رحلة الكلام الغير مُباح، أتدرون ما هو الكلام الغير مباح؟ بالطبع لا، فالكلام الغير مباح ظل سراً بيني وبين شهرياري، وهو سبب فوزي وانتصاري، ولكني سأبوح لكم به الآن، فكلُ شئ قد تكشف للجميع

. بلغني أيها الملك السعيد، ذو الرأي الرشيد، أنه كان وياما كان، منذ قديم الأزمان، كان هناك مخلوق اسمه المرأة قالوا عنه ضعيف، عقله خفيف، لا يجيد من أمور الدنيا سوى التبرج والتصفيف، ولا تشغله من مشاغل الحياة غير الإهتمامات البيتية كالكنس والتنظيف، وأنه لصيق بهذا الكائن الجهل وقلة المعارف، و حبذا لو ظل بعيداً عن المباحث والمكاشف، لأنه لو خرجت المرأة لتقوم ببعض الأعمال، واختلطت بالسادة الرجال، ودرست وتعلمت الكثير من الأحوال، لتبدل حالها من حالٍ إلى حال، فتصبح للرجل ندِّية، وتنسى الحب والتضحيَّة، فالعلم للمرأة كشمس الصحراء، يفعل بها كما يفعل السوس بالعظام من نخرٍ وبلاء، ويفقدها الرقة والدلال والبهاء، فتصبح للرجل كداءٍ بلا دواء، جهلوا يا سيدي شهريار أن العلم للمرأة كالغدير للزرع والأشجار، يجعلها نَدِيَة،بهية، تشبه الأزهار، ويعود بالتالي على الرجل بأجمل الآثار.

دُهش شهريار، و سأل: من أين أتيتِ بهذه الأفكار، أجبته بشيء من المكر والاحتيال ، ياسيدي شهريار، ياسيد الرجال، دعني أُطلِعُكَ على سر الأسرار ، نظر إلي باهتمام، وعيناه تقول ما لم يقوله بالكلام، ولسان حاله يقول، بوحي ياشهرزاد بالمجهول، فلم أعد للصبرِ حمول، فبدأتُ أفسر وأقول.. هل تعرف يامولاي ما هو كنز الكنوز وسر الأسرار؟

قضب حاجبيه وصاح بإستنكار، ماذا تقصدين بكنز الكنوز وسر الأسرار؟

أجبتُ: اسمح لي يامولاي الملك، أن أصحبك في رحلةٍ قصيرةٍ خارج مملكتك، وسأريك الكنز الثمين والسر الخفي، تردد قليلاً ثم أجاب: ليكن، ومتى تكون الرحلة؟ قلتُ الآن إن شئت، قال: هيا دون إبطاء، خرجنا بصحبةالحراس، قاصدين جزيرة الهراس، واستغرقت الرحلة ثلاثة أيام، بين النهر والبر والتلال والآكام، وحين وصلنا الجزيرة، استقبلتنا مرجانة الأميرة، ومشت معنا حتى منتصف الجزيرة، إلى أن وصلنا إلى كهفٍ كبير، فطلبتُ من مولاي شهريار، أن يأمر وزيره وحراسه أن يبقوا خارجاً في انتظار، و لما وقفنا أمام الباب.

هتفتُ بأعلى صوتي: افتح ياسمسم، ففُتح الباب، ودخلنا الكهف، ووجدنا ثلاثة أبواب ، سألني شهريار عما خلفها، قلت لا تتعجل يامولاي، ولا تزد في السؤال، فكل الأشياء ستتضح لك في الحال.

فُتح الباب الأول، وبينما ننظر داخله إذ تسمر شهريار، من هول المفاجأة والانبهار، فقد رأي بالداخل، كل العذارى الأوائل، الذين قتلهم بسيفه البتار، وحين فُتح الباب الثاني، زاد تعجب الجبار، لما نظر ورأى كل شخوص حكاياتي التي سردتها له في ألف ليلة وليلة، رأى الإنس والجان، فكاد يصاب بالهذيان، ووسط دهشته وذهوله، فتح الباب الثالث، فرأى شيئاً عجيباً، رأى قلباً أحمر كبيراً، تسيل منه الدماء، ورأى بجواره جرة ماء.

قال شهريار أنا لم أفهم شيئاً، كيف لم تمت العذارى الحسناوات، اللاتي قتلتهن قبلك، وكيف لشخوص حكاياتك أن تكون حقيقية! أليست هي من وحي الخيال؟ ثم عاد وتساءل في ارتياب:ثم قلبٌ من هذا؟ ولماذا تسيل منه الدماء، ولماذا تجاوره هذه الجرة المملوءة بالماء ؟! أجبته: هديء من روعك يامولاي، سأجيبك على كل سؤال، وأخبرك بكل سر من الأسرار ، الحجرة الأولى هي أفعالك، والحجرة الثانية هي أفعالي، أما الحجرة الثالثة فهي نتيجة أفعالك وأفعالب، فقال: فهمتُ الغرفتين الأولتين أما الثالثة فأحتاج منكِ كي أفهمها بعضاً من الإيضاح.

قلتُ موضحةً: مولاي! أنت قتلت العذراوات الحسناوات فكان جزاؤك من جنس عملك، قلبك متعب ولا يعرف للراحة مكان، وينزف من الأشجان، قال: صدقتِ يا شهرزاد، كيف عرفتِ ما في قلبي من أنكاد؟! قلت: هذا هو سر الأسرار يامولاي، قلب الأنثى الذي لا يخطيء الحس، ولا يسكنه سوى الشعور الطيب ورهافة الحس، تساءل: وهذه الجرة المملوءة بالماء؟ قلتُ: هذا جزاء عملي، فقد غيرتُ حياتك بحكاياتي، أوليس كذلك؟! قال: بلى، لقد غيرت حياتي من حياة إنسان بائس حزين ملول يكره النساء ويقتلهن غيظاً وسأماً، إلى إنسان آخر يحب الحياة ويحبك يا شهرزاد ،قلتُ وقد فاجأني اعترافه، فلطالما عرفته معانداً و مكابراً، وأصبح شديد الرقة والعذوبة. قلت و الدهشة تطل من عيني: مولاي! قال: نعم ياشهرزاد، أُحِبُكِ ولأجل حبك أحييتُكِ، وأحييتُ بفضله كل النساء، قلتُ: وهذا هو كنز الكنوز يا مولاي، سأل: ماذا تقصدين؟

أجبتُ: أنت كَنزي يامولاي، دخلت قصرك ناويةً إيقاعك في شَرَكي، لأثنيكَ عن قتل النساء، فوقعتُ أنا في شَرَكِ حب مولاي، تعجب شهريار: حقاً ياشهرزاد؟ أتحبينني حقاً، قلتُ: حقاً يامولاي، أحبُك . فأمسك شهريار يديَّ، وطبع فوقهما قبلةً من فمه، وقال: من قال أن النساء حمقاوات؟ وإنهن لا يجدن شيئاً سوى الهندام ووضع المزِينَات؟ لا يا مولاتي

الملكة، النساء الحُرات لا يليق بهن سوى العلم والعمل وإثبات الذات، أشكرك شهرزاد ، فلولاكِ ما عرفتُ الحبَ، ولا قيمة النساء .

و أصدر شهريار فرمانه في الحال ، بوجوب إشراك النساء في كل المهام والأعمال، وعدم حِكر العلم والعمل على الرجال .

وكم سعدتُ بهذا الفرمان ، وتزوجنا أنا ومولاي السلطان ، وعشنا في ثبات ونبات ، وأنجبنا ثلاثاً من البنين والبنات .

رِواء

اختارني من بين الكثيرات، عند رؤيتي بين أترابي هرع نحوي بعينٍ فاحصة، مد يده إليَّ مربتاً، ثم قربني منه ملاطفاً، وضع أذنه على جسدي ليسمع ما بداخلي، صرخ في التاجر: ها هي، وعاد ليربتني بابتهاجٍ، ثم أردف: لقد وجدتها، وجدت أخيراً من بحثتُ عنها طويلاً، سآخذها . سأل التاجر: كم تريد من المال؟ دفع فيَّ ما طلبه التاجر دون مفاوضة وكأنه وجد كنزاً ثميناً يستحق الدفع.

حملني على ذراعه، واصطحبني معه إلى بيته، وحين ولجنا البيت، أجلسني على الطاولة، استدعى أصدقاءه من الشباب المقيمين معه في نفس البيت، كانوا يرتدون ملابس قطنية خفيفة تناسب حرارة الطقس الصيفي القائظ، عند رؤيتهم لي أشادوا ببعض من كلمات الغزل والثناء والإعجاب، وسرعان ما التفوا حولي مسرورين مهللين، مدوا أياديهم نحوي متأهبين للهجوم، صرخ فيهم: اتركوها، سأتولى أنا مهمة تقسيمها علينا شريطة أن أكون أنا أول المنتفعين، ألستُ أنا من أحضرها ودفعتُ فيها من مالي ؟! غادر لثوانٍ وتركهم يتفحصونني بنظرات شرهة، ولعاب سائل، ثم عاد

سريعاً ليجهز علي بسكين حاد النصل، شعرتُ بحدته فور غرسه فيَّ وشقي نصفين، سالت دموعي الحمراء، وتساقطت بعض عيوني السوداء، لم يشفق لصراخي، ولم يستجب لتأوهاتي، ظل يغرس فيَّ نصله الحاد، ويشقني إلى أجزاء صغيرة، فأصغر، حتى استحلتُ إلى أشلاء، وقبل أن ينتهي من تقطيعي نهائياً مد الجميع أيديهم يلتهمونني بلا هوادة ولا رحمة، إلى أن انتهيتُ كليةً ولم يبقَ مني سوى القشر الأخضر والحب الأسود!.

طفولة مسلوبة

أذكر جيداً تلك الليلة في ذلك الزمان الغابر حين كنتُ ألعب وسط قريناتي من الفتيات الصغيرات، كنا متشابكات الأيدي ندور حول دائرة وهمية أسميناها وردة ، كنا نضم أيدينا وأجسادنا الغضة ثم نتباعد على قدر اتساع أذرعنا القصيرة مرددين بابتهاج "فتَّحي ياوردة.. قفِّلي ياوردة. " جذبتني أمي بعنف وأدخلتني البيت و عنفتني ، قالت لي: ألم تنظري إلى جسدك، ألم تعي التغيير الطارئ عليه ؟ لم أفهم ما تقصده ، فنظرتُ لجسدي ثم لها نظرة بلهاء تفضح جهلي بما تقول.

مَررتْ يدها بشكل خاطف على صدري قائلةً .. هذان النهدان لم يعودا لطفلة صغيرة، أنتِ الآن في عِداد البالغات، كفي عن اللعب في الشارع، ماذا سيقول عريسك إذا ما رآكِ تلعبين وتركضين كالبلهاء في الشارع ؟ كيف سيكون موقفه إذا ما لاحظ ترجرج جسدك صعوداً وهبوطاً أثناء الركض والقفز ؟ صعقتني كلمة "عريسك" وما تلاها من كلمات غريبة على مسامعي ك "النهدان ، والبالغات، وترجرج "ولم أستوعبها جيداً .

فجأة دخلت بيتنا امرأة غريبة الهيئة، خشنة الملامح، ضخمة البنية، متشحة بالأسود من رأسهاإلى أخمص قدمها ، هللتْ أمي لرؤيتها ورحبت بمجيئها وهمست لها بشيء اصطحبتني على أثره تلك المرأة المخيفة إلى غرفة نومي، وفور ولوجنا الغرفة أغلقت الباب، وجردتني من ملابسي، وأخرجت من بين طيات ملابسها كيساً شفافاً به شيئاً داكناً لم أدر ما كنه، لحقت بنا أمي في الغرفة ومددتني على سريري دون أي مقدمات ، أمسكتني من ذراعيَ بقوة شالةً حركتي ، أما المرأة المخيفة فقد أبعدت بين فخذيَ ، هنا وفي تلك اللحظة استشعرتُ الخوف ، رأيتُ في يد المرأة المخيفة موساً جديداً أخرجته للتو من علبته، وبحركة فجائية انهالت على ما بين فخذي، شعرت بموسها يقطع جسدي إرباً، صرختُ من فرط الألم فلم ترحمني، حتى أمي شاركتها في تعذيبي وكأنها نسيت في تلك اللحظة أني ابنتها، مرت دهور وأعوام وأنا تحت سن الموس الحامي حتى أنهت المرأة المخيفة مهمتها وتركتني هي وأمي جثة هامدة لا حول لي ولا قوة.

كانت تلك هي المرة الأولى التي أرى فيها وجه تلك المرأة ، وبعد أسبوع وللمرة الثانية أراها أمامي في بيتنا صرخت بشكل هستيري دون أن تقترب مني، تفاجأت أمي بصراخي ولأول مرة بعد حادثة الموس تأخذني

أمي في خضنها وتربت على ظهري قائلةً لي بعض الكلمات المطمئنة حتى اطمأنيت قليلاً وعاد لي بعض هدوئي .

قالت لي أمي لا تخافي من خالتك نبوية هي لم تفعل لكِ شيئاً مؤذياً هي فعلت معك ما يجب فعله مع كل البنات حين تصل سن البلوغ، ولثاني مرة أسمعها تنطق بكلمات جديدة على مسامعي لكني لم أحاول سؤالها عما تقصد .

قالت لي أيضاً أن الخالة نبوية أتت اليوم لتحممك! نظرتُ متعجبةً فأردفت أمي: نعم "حمام العروسة" يبدو أن أمي تحتفظ بقاموس جديد ملئ بالمصطلحات العجيبة، تساءلتُ : أي حمام وأي عروسة؟! فلم أفطن للمقصد إلا بعد دخولي غرفتي التي أصبحت تشهد في الآونة الأخيرة كل عذاباتي المتتالية !

أما المرة الثالثة التي رأيتُ فيها المرأة المخيفة فكانت في اليوم التالي لليلة "حمام العروسة" حين ألبسوني الفستان الأبيض والطرحة البيضاء ووضعوا لي مساحيق التجميل وحلوا صفائري، وصففوا لي شعري بعناية، ووضعوا ذراعي الصغير في ذراع ذلك الرجل الذي يبدو من هيئته وشاربه الكبير أنه في عمر أبي أو يزيد ، سحبني ذو الشوارب إلى بيته وأدخلني معه غرفة صغيرة والتي رغم طلاءها الذي يبدو أنه حديثاً إلا أن الغرفة بدت لي كئيبة،

وشعرت أن هوائها الحار يجسم على صدري ، دخلتْ معنا المرأة المخيفة وللمرة الثالثة تجردني من ملابسي وبدون استخدام موساً شعرت بأصبعها في نفس مكان حادثة الموس يشقني نصفين ، دارت بي الغرفة وتصبب مني العرق وسمعت ذو الشوارب يصرخ: ما كل هذه البركة من الدماء ؟ قالت المرأة المخيفة: إنها تنزف ، ستموت البنت ، البنت ستموت ، ثم لم أسمع شيئاً بعدها!.

شوق

اتكأت على مقعدها تطالع كتاباً وبيدها فنجان قهوتها الصباحي، وإذ بنغمة رنين تصدر عن هاتفها المحمول معلنةً عن إشعارٍ جديدٍ على "فيس بوك"، تسارعت نبضات قلبها، وانتفضت. كم لا بأس به من الإشعارات تأتيها يومياً وهي لا تبالي إلا هذه المرة!

تناولت هاتفها لتستكشف ماعساه هذا الإشعار الجديد ، ذُهلت فور رؤية اسمه على منشورها الأخير بعنوان "شوق" . طبع قُبلةً على شفاه البوست وفر هارباً، وتركها تتقلب حنيناً بين البوست والقُبلة والشوق والذكريات!.

الفهرس

إرادة	٥
الأرواح المتشابهة	٧
سجين الجسد	١٥
احتياج	٣٣
حب من نوع آخر	٣٩
أين حافظتي؟	٤٣
فوبيا	٤٧
مينا وحسين	٥٥
بِلا وطن	٦٣
المغني الأخرس	٧٣
خرَّاط البنات	٧٧
ملكة العرب	٧٩
مذكرات تلميذة	٨٥
حياة أخرى	٩٩
ما لم تبُح به شهرزاد	١٠١
رِواء	١٠٧
طفولة مسلوبة	١٠٩
شوق	١١٣